آدابُ التَّعامُلِ مَعَ الفِتَنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: آداب التعامل مع الفتن
المؤلف: الشيخ فيصل الحاشدي
رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٣٥٤٢
نوع الطباعة: ٢لون
عدد الصفحات: ٦٤صفحة
القياس: ١٧×٢٤

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني.

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

دار الندى
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤١١٩١٠

دار الإيمان فرع النزهة
أمام كوبري النزهة القديم - النزهة - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٣٨١٦٠٤٢

فرع القاهرة
العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة.
تليفون: ٢٥١٢٠٦٢١

E-mail dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة

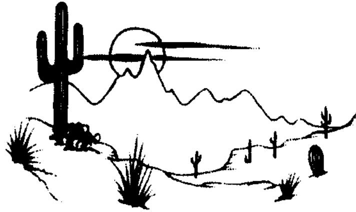
الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ.

أمَّا بَعْدُ، فإنِّي لَمَّا رأيتُ الطَريقَ محفوفةً بالفِتَنِ، فَمن وَقتِ انكسارِ بابها، وهيَ تميدُ وتضطربُ بأهْلِها، وأحيانًا تموج كموجِ البَحْرِ- كتبتُ إلماعةً سريعةً، وعُجَالةً لَطيفةً، وسمَّيتُها «آدابُ التَعامُلِ مع الفتَنِ»؛ لتكونَ إشارةً على طريق أصحاب العقيدةِ الصَّحيحةِ، والنُّفُوسِ الصَّافيةِ المُسْتَشْرِفَةِ لنُدرِ اليقينِ، تُجنِّبُهُمُ العَثَراتِ، وتَقِيهِمُ الزَّلَّاتِ.

وأسألُ اللهَ بأسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلَى أَنْ يُجَنِّبَنا الفتَنَ، ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، وأَنْ يُرِيَنا الحقَّ حقًّا، ويَرْزُقَنَا إتِّباعَهُ، والباطلَ باطلًا، ويُوَفِّقَنا لاجتنابِهِ، وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمين.

كتبه

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي



الحادي عشر- الفتنة بمعنى: الجنون، كما في قوله- تعالى-: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم:٦].
أي: المجنون.

وزاد الفيروز آبادي[1]:

الثاني عشر- الفتنة بمعنى: الإثم، كما في قولِه- تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣].

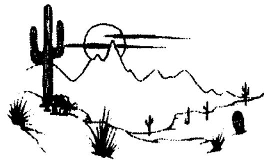
وزاد الكفويُّ[2] المعانيَ الآتيةَ:

الثالث عشرَ- الفتنةُ: المرَض، كما في قولِه - تعالى-: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦].

الرابع عشرَ- الفتنةُ: القضاءُ، وذلك كما في قولِه- تعالى-: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف:١٥٥].

الخامسَ عشرَ- الفتنةُ: العفْوُ، كما في قولِه- تعالى-: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

السادسَ عشرَ- الفتنةُ: النَّفْيُ عَنِ الْبَلَدِ، وَذَلِكَ كما يَحْتَمِلُهُ قولُ اللهِ- تعالى-: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١].



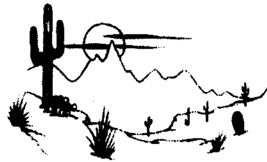
---

(١) «بصائر ذوي التَّميز» (٤/ ١٦٧).

(٢) «الكليات» (٦٩٢)

إخبار النبي ﷺ أُمَّته
بما سيُصيبُهُم من بلاءٍ وفِتَنٍ

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فنزلنا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، ومِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ[١]، ومِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِه[٢]، إذْ نادَى مُنادي رَسُولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جامعةً، فَاجْتَمَعْنَا إلى رسولِ الله ﷺ؛ فقال: «إنَّه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلاَّ كان حقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لَهُمْ، ويُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وإنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا، وسَيُصِيبُ آخِرَها بَلاءٌ وأُمُورٌ تُنكِرُونَها، وتَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا[٣]، وتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فيقولُ المُؤمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وتَجِيءُ الفِتْنَة فَيَقُول المُؤمِنُ هَذِهِ هَذِه؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إلَيْهِ، ومَنْ بايَعَ إمامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ، فإنْ جاء آخَرُ يُنازِعُهُ، فاضرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»[٤].



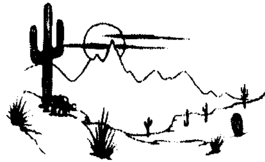
(١) يَنْتَضِلُ: مِنَ المُنَاضَلَةِ، وهو المُراماةُ بالنُّشَّابِ والسِّهام.

(٢) الجَشَرُ - بفتح الجيم والشِّين -: الدَّوابُّ الَّتي تَرْعَى، وتَبِيتُ مَكَانَها.

(٣) يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا: أي: يُصَيِّرُ بَعْضُها بَعْضًا رقيقًا (أي: خفيفًا لعِظَمِ ما بَعْدَهُ).

(٤) رواه مسلم (١٨٤٤).

أشَدَّ أسبابِهِ الطَّعْنُ على أُمَرَائِه، ثُمَّ عليه بتَوْلِيَتِهِ لهم، وأَوَّلُ مَا نَشَأَ ذلك مِنَ العِرَاقِ، وهي مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ، فلا مُنَافَاةَ بَيْنَ حديثِ البابِ وبَيْنَ الحديثِ الآتي: «**إِنَّ الفِتْنَةَ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ**». وحسن التَّشْبيه بالمَطَرِ لإرادةِ التَّعميمِ، لأَنَّه إذا وقع في أرضٍ مُعَيَّنةٍ عمَّها، ولَوْ في بَعْضِ جِهاتِها»[1].



---

(١) المرجع السابق (١٣/ ١٣).

تزايدُ الفتن

عَنِ الزُّبَيْرِ بنِ عديٍّ قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مالك، فَشَكَوْنا إِلَيْه ما نَلْقَى مِنَ الحَجَّاج، فقال: «اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لا يَأْتي زمانٌ إِلَّا والَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حتَّى تَلْقَوا ربَّكُم»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُم ﷺ(١)(٢).

وَعَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فقال: أَيُّكُمْ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟ فقال قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فقال: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ في أَهْلِه وجَارِه؟ قالوا: أَجَلْ(٣). قال: تِلْكَ تُكَفِّرُها الصَّلاةُ، والصِّيامُ، والصَّدَقَةُ، ولكِنْ أَيُّكم سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ الَّتي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ(٤)؟ قالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: فأَسْكَتَ القومُ(٥)، فَقلتُ: أنا. قال: أَنْتَ، للهِ أَبُوكَ!(٦).

قال حُذيفةُ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلُوب كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا(٧)، فأَيُّ قَلْبٍ أُشرِبَهَا(٨)، نُكِتَتْ فِيه نُكْتَةٌ(٩) سَوْدَاءُ، وأَيُّ قَلْبٍ**

---

(١) قال الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٢١): «قال ابْنُ بَطَّال: هَذا الخَبَرُ مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة، لإخباره ﷺ بفسادِ الأحوالِ، وذلك مِنَ الغَيْبِ الَّذي لا يُعْلَمُ بالرَّأْيِ، وإنَّما يُعْلَمُ بالوَحْيِ».

(٢) رواه البُخاريُّ (٧٠٦٨).

(٣) أَجَلْ: كنَعَمْ زِنَةً ومعنىً، إلاَّ أنَّه أحسنُ مِنْهُ في التَّصديق، ونَعَمْ أحسنُ منه في الاستفهام، فإذا قال: أنتَ سوف تذهب، قُلْتَ: أَجَلْ، وكان أحسنَ مِنْ نَعَمْ، وإذا قال: أَتَذْهبُ؟، قُلْتَ: نَعَمْ، وكان أحسنَ مِنْ أَجَلْ.

(٤) تموُّج مَوْجَ البَحْر: أَيْ: تَضطرِبُ ويدفعُ بعضُها بعضاً، وشبَّهها بموج البَحْرِ لشِدَّة عظمها، وكَثْرةِ شُيُوعها.

(٥) فأسكتَ القَوْمُ: أَيْ: أَطْرَقُوا؛ لأنَّهم لم يكونوا يحفظون هذا النوعَ من الفتنة.

(٦) إذا وَجَدت العَرَبُ مِنَ الوَلَد ما يُحْمَدُ، قالتْ له: لله أبوكَ حيثُ أتى بمِثْلَكَ؛ فإنَّ الإضافة إلى العظيم تَشريفٌ؛ ولهذا يُقالُ: بَيْتُ الله، وناقةُ الله.

(٧) عُوداً عُودًا: أَيْ أَنَّ الفتَنَ تَتَوَالى واحدةً بَعْدَ أُخْرَى كنَسْج الحَصير عُودًا بإزاء عُود.

(٨) فأيُّ قَلْب أُشربَها: أَيْ حَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّراب، كقوله –تعالى-: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣]، «المفهم» (١/ ٣٥٩).

(٩) النُّكتة: كالنُّقْطة زِنَةً ومعنىً.

وعَن
وفِتْنَةُ أُمَّتي

وعَن المِسْوَر
بَعَثَ أبا عُبَيْدَةَ
البَحْرَيْنِ، وأَمَّرَ ع
فسَمعتِ الأنصارُ ب
صلَّى بهِمُ الفَجْرَ انْصَر
«أظنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أنَّ
ﷺ: «فأَبْشِرُوا وأَمِّلُوا[4] م

---

(١) قال القُرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في المفهم
الإنسانُ بها، ويُخْتَبَرُ عِنْدَها، كما
مِحْنَةٌ تُمتحنون بها، حتَّى يظهرَ منه
(٢) (حسن) أخرجه أحمدُ (٤/ ١٦٠
(٢٤٧٠)، والحاكم في «مُسْتَدركه» (
المُسنَد» (١٠٨٩).
(٣) فتعرَّضوا له: أَيْ سَأَلُوهُ بالإشارةِ، قاله الح
(٤) أَمِّلُوا: مِنَ الأَمَلِ، وهُوَ الرَّجَاءُ.

عليكم أَنْ تُبسَطَ عليكمُ الدُّنيَا، كما بُسِطَتْ على مَنْ كَان قَبْلَكُم، فَتَنافَسُوها [١] كما تَنافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ [٢] كما أَهْلَكَتْهُمْ» [٣].

وعَن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه: عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «يَأتي على النَّاسِ زَمَانٌ، لا يُبالي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ [٤]، أَمِنَ الحلالِ أَمْ مِنَ الحرامِ [٥]» [٦].

٢- فِتْنَةُ النِّسَاءِ:

قال الله - سُبحَانَهُ وتَعالى -: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤- ١٥].

---

(١) فتنافسوها: التنافس مِنَ المُنَافسَة، وَهِي الرَّغْبَةُ في الشَّيْءِ، ومحبَّةُ الانفراد به، والمُغالبةُ عليه، قاله الحافظ(١١/ ٢٤٥).

(٢) فتهلككم: أَيْ: لأنَّ المالَ مرغوبٌ فيه، فترتاحُ النَّفسُ لطَلَبِه، فتُمْنَعُ مِنْهُ؛ فتَقعُ العداوةُ المُقتضيةُ للمُقاتَلة، المُفْضيةُ إلى الهَلاك، قاله الحافظ (١١/ ٢٤٥)

(٣) رواه البُخاريُّ (٣١٥٨)، ومُسْلِم (٢٩٦١).

(٤) أَيْ: مِنَ المال كما في رواية البُخاريِّ (٢٠٨٣)، ففيها: «لا يُبالي المَرْءُ بمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنَ الحلالِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ».

(٥) نَقَلَ الحافظُ في «الفَتْح» (٤/ ٢٩٦): عَنْ ابْنِ التين قولَهُ: «أخبر النَّبيُّ ﷺ بهذا تَحْذيرًا مِنْ فِتْنَةِ المال، وَهُوَ مِنْ بَعْضِ دَلائِلِ نُبُوَّتِه، لإخباره بالأُمُور الَّتي لَمْ تكُنْ في زَمَنه، وَوَجْهُ الذَّمِّ: مِنْ جِهَةِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وإلا فَأَخْذُ المَالِ مِنَ الحَلالِ لَيْسَ مَذْمُوماً مِنْ حَيْثُ هُوَ، واللَّهُ أَعْلَمُ».

(٦) رَوَاهُ البُخاريُّ(٢٠٥٩).

وعَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ على الرِّجالِ مِنَ النِّسَاءِ[1]»[2].

وعَنْ أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فينظرُ كيف تعملون، فاتَّقُوا الدُّنيا[3]، واتَّقُوا النِّساءَ؛ فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كانتْ في النِّساءِ»[4].

٣- فِتْنَةُ الوَلَدِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيبِ رضي الله عنه قال: «خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ، فأقْبَلَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ رضي الله عنهما، عَلَيْهما قَمِيصَانِ أَحْمَرانِ، يَعْثُرانِ ويَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُما، فَصَعِدَ بهما المِنْبَرَ، ثُمَّ قال: «صَدَقَ اللهُ: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨] رأيتُ هَذَيْنِ، فَلَمْ أَصْبِرْ». ثُمَّ أَخَذَ في الخُطْبَةِ»[5].

---

(١) قال الحافظ في «الفتح»(٩/ ١٣٨): «وفي الحديث: أَنَّ الفِتْنَةَ بالنِّساءِ أشدُّ مِنَ الفِتْنَةِ بغَيْرِهِنَّ، ويَشْهَدُ لَهُ قولُهُ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فَجعَلَهُنَّ مِنْ حُبِّ الشَّهَوات، وبَدَأ بهنَّ قَبْلَ بقيَّةِ الأنواع إشارةً إلى أَنَّهُنَّ الأَصْلُ في ذلك، ويَقَعُ في المُشَاهَدة حُبُّ الرَّجُلِ وَلَدَهُ من امْرَأَتِه الَّتي هِي عِنْدَهُ أكثَرَ مِنْ حُبِّه وَلَدَهُ مِنْ غَيْرِها، وَمِنْ أَمْثِلَة ذَلِكَ: قِصَّةُ النعمان بْنِ بَشِيرٍ في الهِبَةِ».

ثمَّ قال: «وَمَعَ أَنَّها ناقصةُ العَقْلِ والدِّين تَحْمِلُ الرَّجُلَ علىَ تَعَاطِي ما فيه نَقْصُ العَقْلِ والدِّين كَشَغْلِهِ عَنْ طَلَب أُمورِ الدِّينِ، وحَمْلِهِ على التَّهالُكِ على طَلَبِ الدُّنيا، وذَلك أشدُّ الفَسَاد».

(٢) رَوَاهُ البُخاريُّ(٥٠٩٦)، ومُسْلم(٢٧٤٠).

(٣) قال النَّوويُّ رحمه الله في «شرح صحيح مُسْلم»(٥/ ٥٨٢): «ومَعْنَاهُ: تَجنَّبُوا الافتتَانَ بها وبالنِّساء، وتدخلُ في النِّساءِ الزَّوجَاتُ، وغَيْرُهُنَّ، وأكْثَرُهُنَّ فِتنَةً الزَّوجاتُ، ودَوَامُ فِتْنَتِهِنَّ، وابتلاءُ أَكْثَرِ النَّاسِ بهنَّ».

(٤) رَوَاهُ مُسْلم(٢٧٤٢).

(٥) (صَحِيح) أخرجه أبو دَاوُدَ(١١٠٩)، والتِّرمذيُّ(٣٧٧٤)، وابْنُ مَاجَهْ(٣٦٠٠)، وصَحَّحَهُ شيخُنا الإمامُ الوادعيُّ رحمه الله في «الصحيح المسند»(١٥٢).

٤- فتنة الجار:

عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ: سَمِعْتُ أبا وائِلٍ يُحَدِّثُ عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب رضي الله عنه قال: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قولَ رسولِ الله ﷺ في الفِتْنَةِ؟ فقال حُذَيْفَة: أنا أحفظُ كما قال. قال: هات، إنَّك لجَرِيءٌ. قال رسولُ الله ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِه، ومالِه، وجارِه تُكَفِّرُها الصَّلاةُ، والصَّدَقَةُ، والأَمْرُ بالمَعروفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**»[١].

قَالَ: ليست هَذه، ولَكِن الَّتي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قال: يا أَميرَ المُؤْمنين، لا بأسَ عليك مِنْهَا، إنَّ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا بابًا مُغْلقًا. قالَ: يُفتَحُ البابُ أَوْ يُكْسَر؟ قال: لا، بَلْ يُكْسَر.

---

(١) قال الحافظُ في «الفتح»(٦/ ٦٠٥): «قال بَعْضُ الشُّرَّاح: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ واحدة مِنَ الصَّلاةِ وما معها مُكَفِّرَةً لِلْمَذكُورات كُلِّهَا، لا لِكُلِّ واحدةٍ منها، وأَنْ يَكُونَ مِنْ باب اللَّفِّ والنَّشْرِ بأَنَّ الصَّلاةَ - مَثَلاً - مُكَفِّرةٌ، للفِتْنَة في الأَهْلِ، والصَّوْمَ في الوَلَدِ إلخ، والمُرادُ بالفِتْنَة: ما يَعْرِضُ للإنسانِ مَعَ ما ذُكِرَ مِنَ البَشَرِ، أو الالتهاءُ بهم، أو أَنْ يأتي لأَجْلِهِمْ بما لا يَحِلُّ لَه، أَوْ يُخِلَّ بمَا يَجِبُ عليه.

واستشكل ابنُ أبي جَمْرَةَ وُقُوعَ التَّكْفير بالمَذْكُورَات للوقُوع في المُحَرَّمَات، والإخلال بالوَاجِب؛ لأَنَّ الطَّاعَات لا تُسْقطَ ذَلك، فإِنْ حُمِلَ على الوُقوع في المَكْرُوه، والإخلال بالمُسْتَحَبِّ لَمْ يُناسِبْ إطلاق التَّكْفيرِ. والجوابُ: التزامُ الأَوَّل، وأَنَّ المُمْتَنِعَ مِنْ تكفير الحرام والواجب ما كان كبيرةً، فهي الَّتي فيها النِّزاعُ، وأَمَّا الصَّغائِرُ فلا نزاع أَنَّها تُكَفَّرُ؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]. وقال الزَّيْنُ بنُ المُنَيِّر: الفِتْنَةُ بالأَهْلِ: تقعُ بالمَيْل إليهنَّ أو عَلَيْهِنَّ فِي القِسْمَة والإيثارِ حتَّى في أولادِهنَّ، ومِنْ جِهَةِ التَّفْريطِ في الحُقُوقِ الواجبة لَهُنَّ.

وبالمالِ: يقعُ الإشتغالُ به عَنِ العبادةِ، أَوْ بحَبْسِه عَنْ إخراج حقِّ الله.

والفِتْنَةُ بالأَوْلاَدِ: تقعُ بالمَيْلِ الطَّبيعيِّ إلى الوَلَدِ، وإيثاره على كُلِّ أَحَدٍ.

والفِتْنَةُ بالجار: تقعُ بالحَسَدِ والمُفَاخَرةِ، والمُزاحمةِ في الحُقُوقِ، وإهمال التَّعَاهُدِ.

ثُمَّ قال: وأسبَابُ الفِتْنَة بِمَنْ ذُكِرَ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ فيما ذَكَرْتُ مِنَ الأَمثلةِ».

٦- فتن إبليس وجنده:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ الشَّيطَان قَدْ أَيِس أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزيرةِ العَرَبِ، ولكِنْ في التَّحْريش بَيْنَهُمْ»[(١)].

وعن جابر أيضا رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ عَرشَ إبليسَ علي البَحْر، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفتِنونَ النَّاس، فأعظمُهُمْ عِندهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنة»[(٢)].

وعنهُ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علي المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فأدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعظمُهُمْ فِتنةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فيقولُ: فَعَلْتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صَنَعْتَ شَيْئاً، قال: ثُمَّ يجِيءُ أَحَدُهُمْ، فيقولُ: ما تركْتُهُ حَتَّى فَرَقْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، ويقولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[(٣)].

قال الأعمش: أراه قال: «فيلتزمه»[(٤)].

وعن عُروَة بن الزُبَير: أَنَّ عائشةَ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ خَرجَ مِنْ عِنْدِها لَيْلًا، قالتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجاءَ فَرَأَى ما أَصْنَعُ، فقال: «مَا لَكِ يا عائشةُ أغِرْتِ؟». فقلتُ: ومالي لا يَغَارُ مِثْلِي على مِثْلِكَ؟!. فقال رسولُ الله ﷺ: «أقدْ جاءَكِ شَيْطَانُكِ؟». قالتْ: يا رسولَ اللهِ، أَوَمعيَ شَيْطانٌ؟. قال: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَمَع كُلِّ إنسانٍ؟ قال: «نَعَمْ».

قلتُ: وَمَعَكَ يا رسولَ اللهِ؟!. قال: «نَعَمْ،ولكِنْ رَبِّي أَعانَني عَلَيْهِ حتَّى أَسْلَمَ»[(٥)]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٣/ ٦٦).

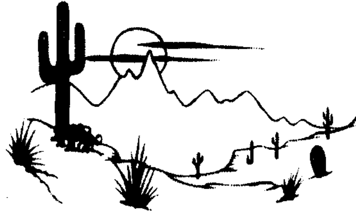
(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٣/ ٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٣/ ٦٧).

(٥) رواه مسلم (٢٨١٥).

وَعَن عَبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إلا وَقَدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِنَ الجنِّ»(١). قالوا: وإيَّاك يا رسولَ الله؟. قال: «وإيَّايَ، إلَّا أنَّ الله أعانَني عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ(٢)؛ فلا يَأْمُرُني إلَّا بخَيْرٍ»(٣).

وعَن ابي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَأتي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ، فيقولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَق كذا؟، حتَّى يَقولُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟، فإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بالله، وَلْيَنْتَه»(٤).



(١) في رواية مسلم: «وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجنِّ، وقَرِينُهُ مِن الملائكة».

(٢) قال النَّوويُّ رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٦٨٠): «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مَشْهورتان، فَمَنْ رَفَع قال: مَعْنَاهُ: أَسْلَمُ أنا منْ شَرِّهِ وفِتْنَته. وَمَنْ فَتَحَ قال: إنَّ القَرينَ أَسْلَمَ مِنَ الإسلام، وصار مُؤْمِناً؛ فلا يَأْمُرُني إلا بخَيْر، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطَّابيُّ: الصَّحيحُ المُخْتار الرَّفْعُ، وَرَجَّحَ القَاضي عِياضُ الفَتْحَ، وهو المختارُ لقوله ﷺ: «فلا يَأْمُرُني إلا بخير»، واختلفوا على رواية الفَتْح، قيلَ: أَسْلَم بمَعْنى استسلم وانْقادَ، وقد جاء هكذا في غَيْرِ صحيح مسلم «فاستسلم»، وقيل: مَعْنَاهُ صار مُسْلِمًا مؤمنًا، هذا هُو الظاهِرُ. قال القاضي: واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ مُجْتمعةٌ على عِصْمة النَّبيِّ ﷺ مِنَ الشَّيطانِ في جِسْمه، وخاطرِه، ولسانِه،وفي هذا الحديث إشارةٌ إلي التحْذير مِنْ فِتْنَةِ القَرين ووسوسته وإغوائه، فأعْلَمَنَا بأنه مَعَنا؛ لِنَحْترِزَ مِنْهُ بحسب الإمكانِ».

(٣) رواه مسلم (٢٨١٤/ ٦٩)

(٤) رواه البُخاريُّ (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

٣- الرُّجوع إلى أهل العلم:

قال الله - سُبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

قال ابنُ سَعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذا تأديبٌ مِنَ الله لعبادِهِ عَنْ فِعْلِهِمْ هذا غَيْرَ اللائِقِ، وأنَّه ينبغِي لهم إذا جاءهم أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ المُهِمَّة، والمصالح العامَّة ما يتعلَّقُ بالأَمْنِ، وسُرُورِ المؤمنين، أو بالخَوْفِ الَّذي فيه مُصِيبةٌ عليهم - أَنْ يتثبَّتُوا، ولا يستعجلوا بإشاعةِ الخَبَر، بَلْ يَرُدُّونه إلى الرَّسُولِ، وإلى أولي الأَمْرِ منهم، أَهْلِ الرَّأْيِ والعِلْمِ والنُّصْحِ والعَقْلِ والرَّزانةِ، الَّذين يعرفون الأمورَ، ويعرفون المَصالِحَ وضِدَّهَا»(١).

وقال اللهُ - سُبحانَهُ وتعالى - مُخبرًا عَن مَوقف عامَّة النَّاسِ من قارُونَ:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩]

وقال في موقف أهلِ العلمِ من قارُونَ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠].

ثُمَّ تغيَّرَ موقفُ عامَّةِ النَّاسِ، ولَكنْ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ اللهُ قَارُونَ، قال اللهُ - سُبحانَهُ وتعالى -:

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٨٢](٢)

---

(١) «تفسير ابنِ سَعْديٍّ» (١٩٠).

(٢) انظر: «التنبيه الحسن في موقف المسلم من الفتن» لشيخنا محمَّدٍ الإمام- حفظه الله- (١٩).

فَانْظُرْ إلى موقف أَهْلِ العِلْمَ وثباتهم أمامَ الفتَن، إنَّه موقفٌ ثابتٌ لا يتزعزعُ بخلافِ العامَّةِ، وَمِنْ دُررَ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قولُهُ: «العالِمُ يَرَى الفِتْنَةَ وهي مُقْبِلَةٌ، والنَّاسُ لا يَرَوْنَهَا إلاَّ وَهِي مُدْبِرَةٌ».

* لُزُومُ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّين:

ولَقَدْ أَمَرَ الرَّسُول ﷺ العَامَّة بلُزُوم العُلَماء الرَّبَّانِيِّينَ، والأَخْذِ مِنْهُمْ[1]، والابتعادِ عَنِ الأَئِمَّة المُضِلِّين، الَّذين جمعوا بَيْنَ شَهواتِ الدُّنْيا وشَهواتِ البِدَعِ والأَهْوَاء، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا.

فعَنْ عَبْد الله بْن عَمرو بْن العاص رضي الله عنهما قال: سَمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولكنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ، حَتَّى إذا**

---

(١) عَلَى المَرْءِ المُسْلِم أَنْ يُفَرِّق بين العلماء والمُتشبِّهين بهم، فإنَّ العامَّة إذا وجدوا مَنْ يَتَزَيَّا بزيِّ العُلماء، ويَهُزُّ المِنبَر - ظَنُّوهُ العالِمَ الَّذي لا يُبارى لفصاحةِ لسانه، وثباتِ جَنانه، فيكونُ هوَ فِتْنَةً لهم، وهم فِتْنَةً له، والحقُّ أنَّ النَّاسَ على طبقاتٍ ثلاثٍ - كما قال عليُّ بنُ قاسم حنش رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «لبدر الطالع» (١/ ٤٧٢):

* الطَّبقةُ العُليا: العُلماءُ الأكابرُ، وهم يعرفون الحقَّ والباطلَ، وإنِ اختلفوا لم يَنْشأْ عَنِ اختلافِهِمُ الفِتَنُ؛ لعِلْمِ بَعْضِهِمْ بما عِنْدَ بَعْضٍ.

* والطَّبقةُ السَّافلَةُ: عامَّةٌ على الفِطْرةِ، لا ينفرون عَنِ الحقِّ، وهم أَتْباعُ مَنْ يقتدون به، إن كان مُحقًّا كانوا مِثْلَهُ، وإنْ كان مبطلاً كانوا كذلك.

* والطَّبقةُ المُتوسِّطةُ: هِي مَنْشَأُ الشَّرِّ، وأَصْلُ الفِتَنِ النَّاشئة في الدِّينْ، وهُمُ الَّذين لم يُمْعِنُوا في العِلْمَ حَتَّى يرتَقُوا إلى رُتْبةِ الطَّبَقة الأولىَ، ولا تركوه حَتَّى يكونُوا مِنْ أَهْلِ الطَّبقة السَّافلة، فإنَّهم إذا رَأَوْا أحداً مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَة العُلْيا يقولُ ما لا يعرفونه، ممَّا يُخالفُ عقائدَهُمُ الَّتِي أوقعهم فيها القُصورُ - فَوَّقُوا إليه سِهَامَ التَّقريع، ونَسَبُوهُ إلى كُلِّ قَولٍ شَنيع وغيَّروا فِطَرَ أَهْلِ الطَّبقةِ السُّفْلَى عَنْ قَبُول الحقِّ بتَمْويهَاتٍ باطلةٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُومُ الفِتَنُ الدِّينيَّةُ على ساقٍ.

قال يحيى بن يعمر: «كان أوَّلَ مَنْ قال في القَدَرِ بالبَصْرَةِ مَعْبدُ الجُهَنِيُّ[١]، فانطَلَقْتُ أنا وحُمَيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمنِ الحميريُّ حاجَّيْنِ أو مُعْتَمِرَيْنِ، فقُلْنا: لَوْ لَقِينا أحداً مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فسألناهُ عمّا يقولُ هؤلاءِ في القَدَرِ، فوُفِّقَ لنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخطَّاب داخلاً المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي، أحَدُنا عَنْ يَمينِه، والآخَرُ عَنْ شِمالِه، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ، فَقُلْتُ: أبا عَبْدَ الرحمنِ، إنَّه قَدْ ظَهَر قِبَلَنَا ناسٌ يقرءون القُرْآنَ ويَتَقَفَّرون العِلْم[٢]، (وذَكَرَ مِن شأنِهِمْ)[٣]، وأنَّهم يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ، وأَنَّ الأمْرَ أُنُفٌ[٤].

قال: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ، فأَخْبِرْهُمْ: أنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وأنَّهم بُرَآءُ منِّي، والَّذي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أنَّ لأحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فأنْفَقَهُ، ما قَبِلَ اللهُ مِنْهُ، حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ، ثُمَّ قال: حَدَّثني أبي عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ...»[٥].

وهذا زُبَيْدُ بْنُ الحارثِ اليَاميُّ لمَّا ظَهرت المُرجئةُ في عَصْرِه، ورَأى أنَّ لهم مُخالفاتٍ لأصولِ أهْلِ السُّنَّةِ والجماعة، تَقْتَضي إخراجَهُمْ مِنْ دائرةِ أهْلِ السُّنَّة والجماعة- لم يُسارِعْ في الحُكْمِ عليهم، بَل ذهب إلى مَنْ لَهُ المَرْجعيَّةُ العِلْميَّةُ في عَصْرِهِ مِنْ أهْلِ

---

(١) قال الأوزاعيُّ -إمامُ أهْلِ الشَّام- كما في «الشريفة» للآجريِّ (٢٤٣)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» للالكائيِّ (٤/ ٧٥٠): «أوَّلُ مَنْ نَطَقَ في القَدَرِ مِنْ أهْلِ العِراقِ يُقالُ لَهُ (سَوْسَنٌ، كان نَصْرانياً، فأسلم ثُمَّ تنصَّرَ، فأخَذَ عَنْهُ مَعْبَدُ الجُهَنيُّ، وأخَذ غيلانُ عَنْ مَعْبَد».

(٢) **يتقفَّرون العِلْمَ:** أَيْ: يطلبونه ويتتبَّعونه.

(٣) أيْ: وذكر ابْنُ يَعْمَرَ مِنْ حالَ هؤلاءِ، فهذه العبارة من كلام ابْن بُرَيْدَةَ الرَّاوي عَنِ ابْنِ يَعْمَرَ.

(٤) **أُنُف**-بضمَّتين: أَيْ مُسْتَأْنَفٌ لم يسبق به قَدَرٌ ولَا عِلْمٌ من الله -تعالى-، وهذا قولُ غُلاةِ القَدَريَّةِ ، لا قولُ جميعهم.

(٥) رواه مسلم في أوَّل «كتاب الإيمان» (٨/ ١).

العِلْم والفَتْوى، الذَّين أخذوا العِلْمَ عَنْ كِبَارِ الصحَّابةِ،وهو أبو وَائل شقيقُ بْنُ سَلَمَةَ الأَسَدِيُّ الكُوفيُّ، فأخبره زُبَيْدٌ بها حَصَلَ، فأفْتَاهُ أبو وَائلٍ بنَصٍّ رَسُولِ الله ﷺ ما يَدُلُ علي بُطْلان شُبْهَةِ المُرْجِئَةِ، وانحرافِهِمْ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، حيثُ قال زُبَيْدُ: لَمَّا ظَهَرَتِ المُرْجِئَةُ أَتَيْتُ أبا وَائلٍ، فذكرتُ ذلكَ له، فقال: حدَّثني عَبْدُ الله أن النَّبيَّ ﷺ قال: «سِبَابُ المُسْلِم فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْر»(١).

٤- التَّحْذِيرُ مِنْ زَلَّةِ العَالِمِ:

عَن أبي إدْرِيسَ الخَوْلانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «إنَّ مِنْ وَرائِكُمْ فِتَنًا، يَكْثُرُ فِيها المالُ، ويُفْتَحُ فيها القُرْآنُ(٢)،حتَّى يأْخُذَهُ المؤمِنُ والمُنافِقُ، والرَّجُلُ والمَرْأَةُ، والصَّغيرُ والكَبيرُ، والعَبْدُ والحُرُّ، فيوشكُ قائِلٌ أَنْ يَقُولَ: ما للنَّاسِ لا يتَّبعوني، وقَدْ قَرَأْتُ القُرْآنَ، ما هُمْ بمُتَّبِعيَّ حتَّى أَبْتَدعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فإيَّاكم وما ابْتَدَعَ؛ فإنَّ ما ابْتُدعَ ضَلالةٌ، وأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحَكيم؛ فإنَّ الشَّيطانَ قَدْ يَقُولُ كلمةَ الضَّلالةِ على لِسَانِ الحكيم، وقَدْ يَقُولُ المُنافِقُ كَلِمةَ الحقِّ». قال: قُلْتُ لِمُعاذٍ: ما يُدْريني -رحمك الله- أنَّ الحكيمَ قَدْ يَقوُلُ كَلِمةَ الضَّلالةِ، وأنَّ المُنافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمةَ الحَقِّ؟!.

قال: بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كلامِ الحكيم المُشْتَهِراتِ(٣) الَّتي يُقالُ لها: ما هَذِه؟!، ولا

---

(١) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٢) قال صاحبُ «عون المعبود» (١٢/ ٣٦٤): «المَعْنَى: أنَّ في أيَّام هَذه الفِتَن يَشيعُ إقراءُ القُرْآنِ، وقُراءتُهُ، ويَرُوجُ تلاوتُهُ بحَيْثُ يَقرؤُهُ المُؤمِنُ والمُنافِقُ، والرَّجُلُ والمرأةُ، والكبيرُ والصَّغيرُ، والعَبْدُ والحُرُّ».

(٣) قال صاحبُ «عون المعبود» -أيضًا- (١٢/ ٣٦٤) (أي الكَلِمَاتِ المُشْتَهَراتِ بالبُطْلانِ.
«الَّتي يقال لها: ما هذِه؟!» أَي: يَقُولُ النَّاسُ إنكاراً في شَأْنِ تِلْكَ المُشْتَهِراتِ: ما هَذِهِ؟!.
«ولا يثنينك» أَيْ: لا يَصْرِفَنَّكَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتَقيم).

را

الباطِ

وق

ومَنْ جاء

وعلي هذ

وفَضْلِهم يَقْبَ

بقبولِ الحقِّ، إد

---

(١) أَيْ: لَعلَّهُ يرجعَ ع

(٢) **فإن على الحق نورًا**

مِنَ النُّورِ والضِّياءِ، و

يُنْكِرُونها؛ لما عليها مر

تَتْرُكْ كلمةَ الحكيم؛ فإنَّهُ

للعَدَويِّ حاشية (صـ١٩٩.

(٣) (صحيح موقوف) أخرجه أ

(٣٨٥٥).

(٤) أخرجه البَيْهَقيُّ في «الكبير» (٠

عُمَرَ إلى أبي مُوسى الأشعريِّ تَلَقَ

(٥) أخرجه الطَّبرانِيُّ في «الكبير» (٩/ ١

(٦) «الفَرْقُ بين النَّصيحة والتَّعْيير» (صـ٠

بَلْ إنَّهُمْ كانوا يعلمون أنَّ طَلَبَ المحامِد في مُخالَفة الحقِّ يَعُودُ علي صاحبه بالذَّمِّ، كما قال خالدُ بْنُ معدان: «مَنِ الْتَمَسَ المحامِد في مُخالفة الحقِّ، رَدَّ اللهُ تِلْكَ المحامِد عليه ذَمًّا، ومَنْ اجْترأ علي المَلَاوِمِ في مُوافقةِ الحقِّ، رَدَّ اللهُ تِلْكَ المَلاوِمَ عليه حَمْداً»(١).

مَضَى السَّلفُ الأَبْـرارُ يَعْبَقُ ذِكْرُهُمْ فَسِيرُوا كما سارُوا علي البرِّ واصْنَعُوا

٦- الإمساكُ عمَّا ليسَ للعَبْدِ بِهِ عِلْمٌ:

قال اللهُ – سُبْحانَهُ وتعالى-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦](٢)

قال اللهُ –سبحانه وتعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ ...حَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣](٣).

...مُ الجَزْمِ بِتَنْزِيلِ النُّصُوصِ الشَّرْعيَّةِ على النَّازِلَةِ مِنَ الفِتَنِ:

...علَّمُونا أَنَّ أحاديثَ الفِتَنِ لا تُنَزَّلُ على واقعٍ حاضرٍ، وإنَّما يَظْهَرُ صِدْقُ ...ـبر به مِنْ حدوثِ الفِتَنِ بَعْدَ حُدُوثِها وانقضائِها، مَعَ الحَذَرِ مِنَ الفِتَنِ

...(

...هُ نَبيَّهُ ﷺ على الوُقُوفِ ما لَيسَ لَهُ به عِلْمٌ، فكيفَ بنا نَحْنُ.

...«أعلام الموقعين» (١/ ٣٨-٣٩): «فَرَتَّبَ المحَرَّماتِ أَرْبَعَ مراتبَ، ...ـش، ثُمَّ ثَنَّى بما هُوَ أشدُّ تحريمًا منْهُ، وهُو الإثمُ والظُّلْمُ، ثُمَّ ثَلَّثَ ...، وهو الشِّرْكُ به –سُبْحانَهُ–، ثُمَّ ربَّعَ بما هُوَ أشدُّ تحريمًا مِنْ ...لا عِلْم».

...تف المسلم مِنَ الفِتَنِ» صالح آل الشيخ (صـ٥٢).

فعن جُنْدب رضي الله عنه قال: «جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَة [١]، فَإِذَا رَجُلٌ جالِسٌ فَقُلْتُ: لَيُهَرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَا هُنَا دِماءٌ. فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: كَلَّا وَاللهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ. قَالَ: كَلَّا وَاللهِ. قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ . قَالَ: كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَنِيه. قُلْتُ: بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ؛ تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلا تَنْهَانِي؟! ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ فَإِذَا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ» [٢].

فالشاهد: أَنَّ حُذَيْفَةَ خَطَّأَ جُنْدُبًا رضي الله عنهما لَمَّا جَزَمَ بِوُقُوعِ الأَمْرِ، وقد سارع إلى الرُّجوعِ عَنْ قَوْلِهِ عِنْدَما بَيَّنَ له أَنَّهُ على غَيْرِ عِلْمٍ فِيما جَزَمَ به.

قال الإمامُ القرطبيُّ رحمه الله: «والَّذي يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ به في هذَا البابِ إِنَّما أخبر بهِ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الفِتَنِ والكوائنِ أَنَّ ذلك يكونُ، وتَعْيينُ الزَّمانِ في ذلك مِنْ سَنَةِ كذا يَحْتَاجُ إلى طَرِيقٍ صحيحٍ يقطعُ العذْرَ» [٣].

وعن يُسَيْر بن جابر قال: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْراءُ بالكُوفَةِ، فجاء رَجُلٌ لَيس لَهُ هِجِّيرَى [٤] إِلَّا: يا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جاءَتِ السَّاعةُ، قال: فَقَعَد، وكان مُتَّكِئًا، فقال: إِنَّ السَّاعة لا تَقُومُ حَتَّى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمةٍ، ثُمَّ قال بيَدِهِ هكذا، (ونَحَّاهَا نَحْوَ الشَّام)، فقال: عَدُوٌّ يَجمعون لِأَهْلِ الإسلامِ، ويَجْمَعُ لهم أهل الإسلام... الحديث [٥].

---

(١) الجَرَعَةُ: موضعٌ بقُرْبِ الكُوفة على طريق الحِيرَة، ويَوْمُ الجَرَعَةِ هُوَ اليَوْمُ الذي خَرجَ فيه أهل الكوفة يَتَلقَّونَ والياً وَلَّاهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه عليهم، فردُّوهُ وسألوا ولاية أبي مُوسى رضي الله عنه فوَلَّاهُ عُثْمَانُ عليهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٣)

(٣) «التَّذكرة» (صـ٧٣٦).

(٤) الهجِّيرَى - بكَسْرِ الهَاءِ والجيم المُشَدَّدِةِ مقصور الألف-: الرَّأْب والعادة والشَّأْن والدَّيْدَنَ

(٥) رواه مسلم (٢٨٩٩).

٨- تَحقيقُ التَّوحيدِ:

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] [١].

فتحقيقُ التَّوحيدِ سَبَبٌ للنَّجاةِ مِنَ الفِتَنِ، كما أنَّ الشِّرْكَ سَبَبٌ للوُقُوعِ في الفِتَنِ، وعَدَمِ الأَمْنِ، مَهمَا توافَرَتْ للعَبْدِ أسباب الأَمْنِ والاطمئنانِ، قال الله –سبحانَهُ وتعالَى –: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران:١٥١].

٩- الإيمانُ بالقَدَرِ:

المُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّه لَنْ يُصيبَهُ إلاَّ ما كُتِبَ لَهُ، وأنَّ الأَمْرَ أَمْرُ الله، والمُلْكَ مُلْكُهُ، وأنَّ ما شَاءَهُ اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يكنْ، لا رادَّ لِفَضْله، ولا مُعقِّبَ لِحُكْمِه، فلا يقعُ شَيْءٌ مِنَ الفِتَنِ في مُلْكِهِ إلاَّ بِمَشيئتِهِ.

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

قال عَلقَمَةُ رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآية: «هُوَ الرَّجُلُ تُصيبُهُ المُصِيبةُ، فيعلمُ أَنَّها مِنْ قِبَلِ الله –تعالى–، فَيُسَلِّمُ ويَرْضَى».

والإنسَانُ لا يَعلمُ عَاقِبةَ أَمْرِهِ، فقد يَكْرَهُ ما ينفعُهُ، وعامَّةُ مصالحِ النُّفُوسِ في مَكْروهاتِها.

---

(١) الظُّلْمُ المرادُ به هُنا: الشِّرْكُ؛ فقد أخرج البُخاريُّ في «صحيحه» (٣٢) عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله قال: لمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابُ رسول اللهِ ﷺ: أيُّنا لم يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:١٩].

وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

١٠- اجتنابُ الجِدَالِ والخِلَافِ:

الجِدَالُ بالَّتِي هي أَحْسَنُ لتقريرِ الحقِّ محمودٌ.

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال اللهُ – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ولكنْ إذا وصل الجِدَالُ إلى حَدِّ المِراءِ فاتركْهُ، وكثيرًا ما يكونُ ذلك مَعَ مَنْ لا يقصدُ مَرْضَاةَ اللهِ في تَعرُّفِ الحقِّ والحقيقة بَعْدَ ظُهورِها وبيَانِها(١).

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أنا زَعِيمُ بِبَيْتٍ في رَبَضِ(٢) الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وإنْ كان مُحِقًّا»(٣).

---

(١) قال ابْنُ حَزْم رحمه الله كما في «التقريب لحدِّ المنطق» (صـ١٩٦): «واحْذَرْ مِنْ مُكالمَةِ مَنْ لَيْسَ مَذْهَبُهُ إلاَّ المُضادَّةَ والمُخَالفَة».

(٢) رَبَضُ الجَنَّةِ – بفتح الرَّاءِ والباءِ –: أَيْ: فيما حَوْلَهَا مِنْ خارج عنها.

(٣) (حسن) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) وحسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٧٣).

١١- اجتناب التَّحزُّب:

عن حُذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: كان النَّاسُ يَسْأَلُون رَسُولَ الله ﷺ عَن الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَن الشَّرِّ مَخافةَ أَنْ يُدرِكَني، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّا كُنَّا في جاهليَّةٍ وَشرٍّ، فَجاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»[١]. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**». قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «**نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ**،[٢]، **مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا**[٣]، **وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[٤].

---

(١) المُرَادُ هُنا: أَلَّا تَصفُوَ القُلُوبُ بَعْضُها لبَعْض، ولا يزولَ خَبَثُها، ولا تَرْجِعَ إلى ما كانَتْ عليه مِنَ الصَّفا، قاله النَّوَوِيُّ عِنْدَ شَرحه للحَديث (١٨٤٧).

وَيُؤَيِّدُهُ حَديثُ حُذَيْفَةَ عِنْدَ أَبي دَاوُدَ بسندٍ حسنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داوُدَ» (٣٥٧١)، وقول حُذَيْفَةَ: «يا رسولَ الله، الهُدْنَةُ على الدَّخَنِ ما هي؟ قال: «**لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أقوامٍ على الَّذي كَانتْ عليه**». قال في «عون المعبود» عند شرحه للحديث (٤٢٢٧): «أَيْ: لا تكونُ قلوبُهم صافيةً عَنِ الحِقْدِ والبُغْضِ كَمَا كَانتْ صَافيةً قَبْلَ ذَلِكَ».

(٢) أطلق عليهم ذلك باعتبارِ ما يَؤُولُ إليه حالُهم، كَما يُقالُ لِمَنْ أَمَرَ بفعلٍ مُحَرَّمٍ: «وَقَفَ على شَفيرِ جَهَنَّمَ» قاله الحافظُ.

(٣) قال القُرْطبيُّ في «المفهم» (٤/ ٧٥): «هَذا أَمْرٌ بالاعتزالِ عِنْدَ الفتَنِ، وهُوَ على جِهَةِ الوُجُوب، لِأَنَّه لا يَسْلَمُ الدِّينُ إلاَّ بذلك، وهذا الاعتزالُ عبارةٌ عَنْ تَرْكِ الانتماءِ إلى مَنْ لم تتمَّ إمامتُهُ مِنَ الفِرَقِ المُخْتَلِفةِ».

(٤) رواه البُخاريُّ (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

١٢- الإقبالُ على العبادةِ:

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١).

قال القُرطُبيُّ رحمه الله: «الهَرْجُ: الاختلاطُ والارتباكُ، ويُرادُ به هنا: الفِتَنُ والقَتْلُ، واختلاطُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فالمتمسِّكُ بالعبادةِ في ذَلك الوَقْتِ، والمُنْقَطِعُ إليها، المُعْتَزِلُ عَنِ النَّاسِ- أَجْرُهُ كَأَجْرِ المُهَاجِرِ الى النَّبِيِّ ﷺ؛ لأنه يُناسِبُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّ المهاجرَ قَدْ فَرَّ بدينِهِ مِمَّنْ يَصُدُّهُ عَنْهُ إِلَى الاعتصامِ بالنَّبِيِّ ﷺ، وكذَلك هُوَ المُنْقَطِعُ للعبادةِ قَدْ فرَّ مِنَ النَّاسِ بدِينِه إلى الاعتصامِ بعبادةِ رَبِّه، فهو على التحقيقِ قد هاجَرَ إلى رَبِّه، وفرَّ مِنْ جميعِ خَلْقِهِ»(٢).

ومِنَ العِبادةِ ما يأتي:

١ - الصَّلاةُ:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: استيقظَ رَسُولُ الله ﷺ لَيلةً فزعًا، يقولُ: «سُبْحَانَ الله، ماذا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ؟! وماذا أَنْزَلَ مِنَ الفِتَنِ؟! مَنْ يُوقِظُ صَواحِبَ الحُجُراتِ -يريدُ: أَزْوَاجَهُ لكي يُصَلِّينَ- رُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عاريةٍ في الآخرةِ»(٣).

قال ابنُ بطَّالٍ رحمه الله: «في هذا الحديث: أَنَّ الفُتُوحَ في الخَزَائنِ تَنْشَأُ عَنْهُ فِتْنَةُ المالِ، بأَنْ يُتنافسَ فيه، فيقعُ القِتالُ بسَبَبِه، وأَنْ يُبْخَلَ به، فَيُمْنَعَ الحَقَّ، أو يَبْطَرَ صاحبُهُ فَيُسْرِفَ، فأرادَ ﷺ تحذيرَ أزواجه مِنْ ذَلك كُلِّه، وكَذَا غَيْرُهُنَّ مِمَّن بَلَغَهُ ذلك، وفي الحَدِيثِ: النَّدْبُ إلى الدُّعاءِ، والتَّضَرُّعِ عِنْدَ نُزُولِ الفِتْنَةِ، ولاسيَّما في اللَّيلِ لِرَجَاءِ وَقْتِ الإجابةِ، لِتُكْشَفَ أو يَسْلَمَ الدَّاعي ومَنْ دَعَا لَهُ، وباللهِ التَّوفيقُ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٢) «المفهم» (٧/ ٣٠٩).

(٣) رواه البُخاريُّ (٧٠٦٩).

(٤) انظر «شرح ابنْ بطَّالٍ» (١٠/ ١٤-١٥).

٢- صلاةُ الجماعةِ زَمنَ الفتَنِ:

عَن عُبَيد الله بن عَديّ بن خيَار: أنَّه دَخَلَ على عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه وَهُوَ مَحْصُورٌ، فقَالَ: إنَّكَ إمامُ عامَّة[1]، ونَزَلَ بك ما نَرَى، ويُصَلِّي لنا إمامُ فِتْنة[2] ونَتحَرَّجُ؟! فقال: الصَّلاةُ أَحْسَنُ ما يَعْمَلُ النَّاسُ، فإذا أَحْسَنَ النَّاسُ فأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وإذا أَسَاءُوا فاجْتَنِبْ إساءَتَهُمْ»[3].

قال الحافظُ رحمه الله: «وفي هذا الأثَرِ: الحَضُّ على شُهُودِ الجماعةِ، ولاسيَّما زَمَنَ الفتْنَة، لئلَّا تزداد تَفَرُّقُ الكَلمةِ، وفيه أَنَّ الصَّلاة خَلْفَ مَنْ تكْرَهُ الصَّلاةَ خَلْفَهُ - أَوْلَى مِنْ تعطيلِ الجماعةِ»[4].

٣- التَّوكُّلُ على الله:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وقال- سبحانه وتعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ u حين أُلْقِيَ في النار، وقالها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[5].

---

(١) أَيْ: إمامُ الجماعة، أو الإمامُ الأَعْظَمُ

(٢) أَيْ: رئيسُ الفتْنَةِ الَّذي خَرَجَ على إمامِ المُسْلمين.

(٣) رواه البُخاريُّ (٦٩٥).

(٤) «الفتح» (٢/ ١٩٠).

(٥) أخرجه البُخاريُّ (٤٥٦٣)، وابْنُ السُّنِّيِّ في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٣).

٤- الاستغفار والتضرع:

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧- ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٢- ٤٣].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون٧٦].

٥- الصبر:

قال الله- سبحانه وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

وقال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طه:١٣٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[١].

وعَن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عَن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِه شيئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، ماتَ مِيتَةً جاهليَّةً»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: ايْمُ الله، لَقَدْ سَمعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفتَنَ، إنَّ السَّعيد لَمَنْ جُنِّبَ الفتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فواهًا[١]»[٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أبا ذرٍّ». قلت: لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْدَيْكَ، فذكر الحديثَ، وفيه: «كيْف أنْتَ إذا أصابَ النَّاسَ مَوْتٌ، يكونُ البيتُ فيه بالوَصيفِ؟»[٣] قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ - أو قال: ما خَارَ اللهُ لي ورسولُهُ[٤]... قال: «عليك بالصَّبْرِ» أو قال: «تَصَبَّرْ...»[٥].

وفي رواية: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قال: رَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ حمارًا، وأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وقال: «يا أبا ذَرٍّ، أرأيت إنْ أَصَابَ النَّاسَ جوعٌ شديدٌ لا تستطيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إلى مَسْجِدِكَ، كيف تصنعُ؟». قال: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ. قال: «تعفَّفْ». قال: «يا أبا ذَرٍّ، أرأيتَ إنْ أصاب النَّاسَ مَوْت شديدٌ، يكُونُ البَيْتُ فِيه بالعَبْدِ[٦]. كيف تصنعُ؟».
قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ. قال: «اصْبِرْ....»[٧].

(١) فواهًا: أيْ: فوا عجبًا له.

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داوُدَ (٤٢٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٣٧).

(٣) الوَصِيف: هُو العَبْدُ أو الخادِمُ، والوَصِيفَةُ: الأمَة، يُرِيدُ: أنَّ النَّاس يشتغلون عَنْ دَفن مَوْتَاهُمْ، وهَذا يَدُل على أنَّ الفِتَن تَكثُرُ، فتكْثُرُ القتلى، حتَّى إنه لَيُشْتَرى مَوْضِعُ قَبْرٍ يُدْفَنُ فيه الميِّتُ بعَبْدٍ مِنْ ضِيق المكانِ عليهمْ؛ مُبالغةً في كَثْرَةِ وقوع الفِتَنِ؛ أو لاشتغال بَعْضهمْ ببَعْض، وبما حَدَثَ مِنَ الفِتَنِ لا يُوجَدُ مَنْ يَحْفِرُ قَبْرَ مَيِّتٍ ويَدْفِنُهُ، إلاَّ أَنْ يُعْطَى وَصِيفاً، أَوْ قِيمَتَهُ. انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ٨).

(٤) أيْ: ما اختار الله لي ورسوله «عون المعبود» (١١/ ٣٤٢).

(٥) (صحيح) أخرجه أبو داوُد (٤٢٦١)، وابْنُ ماجَهْ (٣٩٥٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي دَاوُدَ» (٣/ ٨٠٣).

(٦) البيت: القبر. انظر: «معالم السُّنن» للخطَّابيِّ (٤/ ٤٥٨)، و«جامع الأُصول» لابن الأثير (١٠/ ٨).

(٧) (صحيح) رواه أحمدُ (٥/ ١٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٨١٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فيهم على دينه كالقابضِ[١] على الجَمْرِ»[٢].

٦- المبادرة بالأعمال الصَّالحات:

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بادِرُوا بالأعْمَالِ فتنًا كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً ويُمْسِي كافِرًا، ويُمْسِي مُؤْمِناً، ويُصْبِحُ كافرًا، يَبِيعُ دينه بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا قَلِيلٍ»[٣].

فهذا أمرٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ إلى المُبادرة بالأعْمالِ الصَّالحات وَقْتَ الفِتَنِ؛ لأَنَّ أَسْبَابَ البَلاءَ مِنَ الفَراغِ، وفي المَثَلِ، «الجَيْشُ الَّذي تَسُودُهُ البَطَالةُ يُجِيدُ المُشاغَبَةَ».

١٣- الفِرارُ مِنَ الفِتَنِ:

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه أنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يكونَ خَيْرَ مالِ

---

(١) قال الطيبيُّ - كما في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٥٣٩): المَعْنَى: كما لا يَقْدِرُ القَابضُ على الجَمْرِ أَنْ يَصْبرَ لإحراقِ يَدِهِ، كذلك المُتَدَيِّنُ يَوْمَئِذٍ لا يَقْدِرُ على ثباتِهِ على دينِهِ لغَلبةِ العُصاةِ والمعاصي، وانتشارِ الفِسْقِ وضَعْفِ الإيمان».

وقال القارئ: «الظَّاهِرُ أَنَّ مَعنى الحديث: كما لا يُمْكِنُ القَبْضُ على الجَمْرَةِ إلاَّ بصَبرٍ شَديدٍ، وتحمُّلِ غَلَبَةِ المَشَقَّة، كذلك في ذلك الزَّمان لا يتصورُ حِفظ دينِهِ ونورِ إيمانِهِ إلاَّ بصَبْرٍ عظيم» المرجع السابق (٦/ ٥٣٩).

(٢) (صحيح) أخرجه التِّرْمِذيُّ (٢٢٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ لشواهده، انظر «الصَّحيحة» (٩٥٧).

(٣) أخرجه مسلمٌ (١١٨)، والتِّرْمذيُّ (٢١٩٥)، وأحمدُ (٢/ ٣٠٤-٣٧٢-٥٢٣)، وابْنُ أبي عاصمٍ في «الزُّهد» (٢١٨)، وابْنُ حبَّانَ (٦٦٦٩/ إحسان).

ووقع عِنْدَ مُسلم هكذا: « ... ويُمسِي كافراً، أَوْ يُمسِي مؤمِنًا» بلفظ «أَوْ»، وهذِهِ لفظةٌ شاذَّةٌ هُنا، والمَحْفُوظُ أَنَّهُ بـ«الواو» هكذا «و» بَدَلَ: «أَوْ».

المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَغَفَ الجِبالِ[١]، ومواقعَ القَطْرِ[٢]؛ يفرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ[٣]»[٤].

وعنه ﷺ قال: قِيل: يا رسولَ الله، أيُّ النَّاس أَفْضَلُ؟، فقال رسول الله ﷺ: «مُؤْمِنُ يُجَاهِدُ في سَبيلِ الله بنفسِهِ ومالِهِ». قالوا: ثُمَّ مَنْ؟. قال: «مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّه[٥]»[٦].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «ستكونُ فِتَنٌ، القاعِدُ فيها خَيرٌ مِنَ القائم، والقائِمُ فيها خيرٌ مِنَ الماشي، والماشي فيها خيرٌ مِنَ السَّاعي[٧]، مَنْ تَشَرَّفَ لها[٨]

---

(١) **شغف الجبال**: هي رُؤوس الجبال.

(٢) **مواقع القطر**: أي: بُطون الأودية.

(٣) قال الخطَّابيُّ: «وفيه الحثُّ على العُزلَةِ أيَّامَ الفِتَنِ».

وقال الحافظ ابن حَجَرٍ في «فتح الباري» (١٣/ ٤٢): «والخَبَرُ دالٌّ على فَضِيلَةِ لمنْ خاف على دينِهِ».

(٤) أخرجه البُخاريُّ (١٩)

(٥) قال الحافظُ في «الفتح» (٦/ ٦): «وإنَّما كان المُؤمِنُ المُعْتَزِلُ يتلوه في الفضيلة؛ لأنَّ الَّذي يُخالِطُ النَّاسَ لا يَسْلَمُ مِنِ ارتكابِ الآثامِ، فقَدْ لا يفي هذا بهذا، وهو مقيَّدٌ بُوقُوع الفِتَنِ».

وقال الخَطَّابيُّ: كما نقل عنه الحافظُ في «الفتح» (١/ ٣٣١): «لَو لَمْ يكن في العُزْلَةِ إلَّا السَّلامةُ مِنَ الغيْبةِ، وَمِنْ رُؤْيةِ المُنْكَرِ الَّذي لا يَقْدِرُ على إزالتِهِ لكان ذلك خيرًا كثيرًا.

(٦) رواه البُخاريُّ (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٧) مَعْناه: بيَانُ عَظيم خطَرِها، والحثُّ على تَجَنُّبِها، والهَرَبُ منها، ومِنَ التَّشَبُّثِ في شيءٍ، وأَنَّ شَرَّها وفِتْنَتَها يكونُ على حَسَبِ التَّعَلُّقِ بها، قاله النَّوويُّ (٥/ ٧٣٥).

(٨) **تشرَّف لها**: أي تَطَلَّعَ لها بأَنْ يتصدَّى ويتعرَّضَ لها، ولا يُعْرِضَ عنها، «الفتح» (١٤/ ٥٢٦).

تَسْتَشْرِفْهُ[١]، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجأً أَوْ مَعَاذًا[٢]، فَلْيَعُذْ بِهِ[٣]» [٤].

١٤- اعتزالُ الفِتَنِ:

في اعتزالِ الفِتَنِ سلامةٌ مِنْ مَعَرَّتِها وتوابِعِها؛ تَفِرَّ منها فِرارَكَ مِنَ الأَسَدِ، واعْتزِلْها اعْتِزالَ الصَّحيحِ الأَجْرَبَ، فإنِ اضْطَرَرْتَ فاكسر قَوْسَك بحدِّ سَيْفِك، واعْمِدْ إلى الصَّخْرِ فاكسِرْ بهِ سيفَكَ، فإنْ فعلت ذلك، كُنْتَ في ذِمَّةِ الحَمْدِ والسَّلامة، إنْ شاء الله.

وعلى ذلك أَدِلَّةٌ كالشَّمْسِ في رابعةِ النَّهارِ، يهتدي بها في ظُلُماتِ الجهْلِ مَنْ أراد اللهُ لَهُ الهِداية.

فعن مُطرِّف عَنْ عامر قال: لَمَّا قاتَلَ مَرْوَانُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْس، أَرْسَلَ إلى أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ الأَسَديِّ، فقال: إنَّا نُحِبُّ أَنْ تُقاتِلَ مَعَنا، فقال: إنَّ أَبِي وعَمِّي شَهِدَا بَدْرًا، فَعَهِدَ إليَّ أَلَّا أُقَاتِلَ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله، فإنْ جِئْتَني بِبَراءةٍ مِنَ النَّارِ، قاتلتُ مَعَكَ!! فقال: اذْهَبْ وَوَقَعَ فيه وسَبَّهُ، فانْشأ أَيْمَنُ يَقُولُ:

وَلَسْتُ مُقاتِلًا رَجُلًا يُصلِّي ... على سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لَهُ سُلْطَانُهُ، وعليَّ إثْمِي ... مَعَاذَ اللهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشِ!
أُقَاتِلُ مُسْلِمًا في غَيْرِ شَيْءٍ؟! ... فَلَيْسَ بنافعي ما عِشْتُ عَيْشِ[٥]

وعَن زيادِ بنِ مسلمٍ أن عُمَرَ قال: حَدَّثنا أبو الأَشْعَثِ الصَّنعانيُّ قال: «بَعَثَنا يَزِيدُ ابنُ

---

(١) تستشرفْهُ: أَيْ تُهلِكُهُ بِأَنْ يُشْرِفَ منها على الهَلاَكِ، قاله الحافظُ في «الفتح» (١٤/ ٥٢٦).

(٢) **المعاذ:** بمعنى المَلْجأ.

(٣) **فَلْيَعُذْ به:** أَيْ: لِيَعْتَزِلَ فيه؛ ليسلمَ مِنْ شَرِّ الفِتْنَةِ.

(٤) رواه البخاريُّ (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٥) رواه الموصليُّ (٢/ ٢٤٥)، والبَيْهقيُّ (٨/ ١٩٣) في «السُّنَنِ»، والطَّبرانيُّ (١/ ٢٩٠) في «الكبير» وعند البيهقيِّ: «وَلَسْتُ بقاتِلٍ»، وعند البَيْهقيِّ والطَّبرانيِّ: «أَأُقاتِلُ مُسْلِمًا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ؟!»

مُعاويةَ إلى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ المَدِينة، دخَلتُ على فُلانٍ - سَمَّى زيادٌ اسْمَهُ - فقال: إنَّ النَّاسَ قَدْ صنعوا ما صنعوا، فما ترى؟ فقال: أَوْصاني خليلي أبو القاسم ﷺ إنْ أَدْرَكْتُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الفتَنِ، فاعْمِدْ إلى أُحُدٍ، فاكْسِر بِهِ سَيْفَكَ، ثُمَّ اقعُدْ في بَيْتِكَ، قال: فإن دخل عليك أَحَدٌ، فَقُمْ إلى المِخْدَعِ، فإنْ دَخَل عليكَ المِخْدَعَ[1]، فاجْثُ على رُكْبَتَيْكَ، وَقُلْ: بُؤْ بإثْمِي وإثْمِكَ، فتكونَ مِنْ أصحابِ النار، وذلك جَزاءُ الظَّالمين، فَقَدْ كَسَرْتُ حَدَّ سَيْفِي، وقعَدْتُ في بُيْتِي»[2].

١٥- تَرْكُ أَرْضِ الفِتْنَة:

إنْ تَرَكْتَ أَرْضَ الفِتْنَةَ، كُنْتَ أَنْتَ الرَّابحَ، لا مَنْ بَقِيَ فِيها، فاهْجُرْ بدينِكَ - وَيْحَكَ-؛ فهو رأسُ مالِكَ، ولا تُبالِ ما فاتك بَعْدَ ذلك.

إذا أَبْقَتِ الدُّنْيا على المَـرْءِ دِينَهُ ... فـما فَـاتَـهُ مِـنْـهَـا فَـلَـيْـسَ بضائر

وَهَلْ أَتَاكَ خَبَرُ الرَّجُلِ الَّذي تَرَكَ أَرْضَ الفِتْنَةِ عَنِ المَعْصُوم ﷺ؟ وكيفَ كان ذلك سببًا في اسْتحقاقِ الجنَّةَ، ونجاتِهِ مِنْ العذاب رَغم ثِقَلِ الذُّنُوبِ، وقِلَّةِ العَمَلِ، بَلْ إنَّه لَم يَعْملْ خيراً قطُّ؟!.

ففي «الصَّحيحَيْن» من حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه: أَنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «**كان فيمَنْ كان قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعةً وتسعين نَفَسًا، فسأَلَ عَنْ أَعْلم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ على راهِبٍ، فأتاه فقال: إنَّهُ قَتَلَ تسعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال: لا، فقتله، فكمَّلَ بهِ مائةً، ثمَّ سألَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأرض، فَدُلَّ على عالم، فقال: إنَّهُ قَتَلَ مائة نَفْسٍ، فَهَلْ له مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال: نَعَمْ، ومَنْ يَحُول بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انطلقْ إلى أَرْضِ كذاً وكذا؛ فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدونَ الله، فاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، ولا تَرْجِعَ إلى أَرْضِكَ؛ فإنَّها**

(١) المخدع- بالتَّثليث-: البيتُ الصَّغير الَّذي يكون داخل البيت الكبير.
(٢) (حسن) أخرجه أحمدُ (٤/ ٢٢٦) (١٨١٤٥).

أرضُ سوءٍ، فانْطَلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّريق، أتاهُ المَوْتُ(١)، فاخْتَصَمَتْ فيه ملائكةُ الرَّحمةُ وملائكةُ العذابِ(٢)، فقالتْ ملائكَةُ الرَّحْمة: جاء تائباً مُقْبلاً إلى الله، وقالتْ ملائكةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورةِ آدميٍّ، فجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فقال: قِيسُوا ما بَيْنَ الأرْضَيْنِ، فإلى أيَّتِهما كان أَدْنَى فَهُو لهُ، فقاسُوهُ، فوجدُوهُ أدنَى إلى الأرْضِ الَّتي أراد، فقبضتْهُ ملائكةُ الرَّحمة(٣)»(٤).

فهذا الحديثُ حُجَّةٌ في التَّحوُّلِ مِنْ أَرْضِ الفِتْنَةِ، ولاسيَّما إذا لم يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ في التَّغلُّبِ على هَوَاهُ، وتَذْكِيرِهِ مَولاهُ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه فَضْلُ التَّحوُّلِ مِنَ الأَرْضِ الَّتي يُصيبُ الإنسانُ فيها المعصيةَ؛ لما يَغْلِبُ بحكم العادةِ على مِثْلِ ذلك، إمَّا لتذكُّرِه لأفعالِه الصَّادرةِ قَبْلَ ذلك والفتنة بها، وإمَّا لوجودِ مَنْ كان يُعينُهُ على ذلك، ويحضُّه عليه، ولهذا قال لَهُ الأخيرُ: ولا ترجعْ إلى أَرْضِكَ؛ فإنَّها أَرْضُ سُوءٍ، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ التائبَ ينبغي لَهُ مُفارقةُ الأحوالِ التي اعتادها في زَمَنِ المَعْصية، والتَّحوُّلُ منها كُلِّها، والاشتغالُ بغَيْرِها، وفيه فَضْلُ العَالمِ على العابدِ؛ لأنَّ الَّذي أفتاهُ أوَّلاً بأَنْ لا تَوْبَةَ لَهُ غَلَبَتْ عليه العبادةُ؛ فاستعظم وُقوعُ ما وَقَعَ مِنْ ذلك القاتلِ من استجرائه على قَتْلِ هذا العَدَدِ الكثيرِ، وأمَّا الثَّاني فَغَلَبَ عليهِ العِلْمُ؛ فأفتاه بالصَّوابِ، ودلَّه على طَريقِ النَّجاة»(٥).

---

(١) في رواية البُخاريِّ: «**فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها**». أي: نحو القرية الطيبة.

(٢) في رواية البُخاري: «**فأوحى الله إلى هذه الأرض: أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدي**».

(٣) في رواية لمسلم (ونحوُها عِنْدَ البُخاري): «**فكان إلى القَرْيَةِ الصَّالحةِ أَقْرَبَ منها بشِبرٍ؛ فجُعِلَ مِنْ أَهْلِها**».

(٤) رواه البُخاريُّ (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، واللَّفْظُ له.

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٥١٧).

١٦- كَفُّ اليَدِ في الفِتْنَةِ:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «وَيْلٌ[١] لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قد اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»[٢].

فدل الحديث - بمنطوقِهِ ومَفْهُومِه - على أَنَّ كَفَّ اليَدِ عَنْ قَتْلِ المُسْلمين وأَذَاهُمْ طريقٌ إلى السَّلامةِ مِنَ الفِتَنِ.

١٧- حِفظُ اللِّسانِ في الفِتْنَةِ:

عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ صَمَتَ نَجَا»**[٣].

فالشاهدُ منْ الحديث: أَنَّ الرَّجُل في الفِتْنَةِ لا يَدْري هَل في الكَلام خيرٌ أَمْ لا، بَلْ قَدْ لا تَدْري ما وَجهُ الحقِّ والصَّواب؛ فكان في الصَّمْتِ سبيلُ النَّجاةِ، فإذا انْجَلَى الغُبارُ، واتَّضح الحقُّ لطالبه - عرف ما للصَّمت مِنَ الفوائدِ والمَسَارِّ، ولا يَدْخُلُ في ذلك مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ في وَقْتٍ يَحْتَاجُ إليهِ النَّاسُ، بَلْ إنَّ نَشْرَ العِلْم وتَعليمَهُ وقايةٌ مِنَ الفِتَنِ، وقَدْ أنجَى اللهُ أبا بَكْرَةَ بحديثٍ سَمِعَهُ مِنْ رسوُلِ اللهِ ﷺ، وقَدْ تَقَدَّمَ.

١٨- النَّهيُ عَنِ الإشارةِ بالسِّلاحِ إلى المُسْلِمينَ:

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «لا يُشيرُ أَحَدُكُمْ على أخيهِ بالسَّلاحِ؛ فإنَّهُ لا يَدْري لعلَّ الشَّيطانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ، فيقعُ في حُفْرةٍ مِنَ النَّارِ»[٤].

قال النوويُّ رحمه الله: «**لعلَّ الشَّيطانَ يَنْزِعُ**» ضبطناه بالعَيْنِ المُهْملةِ، وكذا نقله القاضي عن جميع روايات مسلم، وكذا هو في نُسَخِ بلادنا، ومعناهُ: يَرْمي في يَدِهِ، ويُحَقِّقُ

---

(١) **الوَيْلُ - بالفتح -**: كلمة عذاب وهلاك.

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داوُدَ (٤٢٤٩)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «صحيح الجامع» (٧١٣٥).

(٣) (حسن) أخرجه التِّرْمذيُّ (٢٥٠١).

(٤) رواه البخاريُّ (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

ضَرْبَتَهُ ورَمْيَتَهُ، ورُوِيَ في غير مسلم بالغَيْنِ المُعْجمةِ، وهو بمعنى: الإغراءِ، أيْ: يحملُ على تحقيقِ الضَّرْبِ بِهِ، ويُزَيِّنُ ذلك»[١].

وقال الحافظ ابنُ حَجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُراد: أَنَّهُ يُغْرِي بَيْنَهُمْ، حتَّى يَضْرِبَ أَحَدُهما الآخَرَ بسلاحِهِ، فيحقِّق الشَّيطانُ ضَرْبَتَهُ له»[٢].

قلتُ: ونحنُ في وَقْتٍ ظَهَرَتْ أسلحةٌ فيه لا يحتاجُ معَهَا إلى كثيرِ عَنَاءٍ، بَلْ قَدْ يشيرُ به لأخيه، ثُمَّ لا يَدْرِي مَنْ لمس الزناد، أهو أم غيرُهُ؛ لأَنَّهُ يَضْرِبُ بمجرَّدِ اللَّمس، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون، فكم بسببِهِ ثَكِلَتْ مِنْ أُمٍّ، وكَمْ أَرْمَلَتْ مِنْ زوجةٍ، وكَمْ يَتَمَ مِنْ صبيٍّ، وما تَزَالُ الفجائعُ مُتواليَات، لا يخلو منها مكان أو زمان، فقدْ وَجَدَ الشَّيطانُ بُغْيَتَهُ في هذا النَّوْعِ مِنَ الأسلحةِ أكثرَ مِنْ غَيْرِها، ولا سبيلَ للنَّجاةِ إلَّا بالاعتصامَ بالكتاب والسُّنَّة، وَمِنَ الاعتصامِ بالسُّنَّةِ عَدَمُ إشارةِ الأخِ لأخيه بالسِّلاحِ؛ لأَنَّهُ قدْ يُفْضِي به إلى دُخُولِ النَّارِ.

قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيَقعُ في حُفْرةٍ مِنَ النَّارِ» هو كِنايةٌ عَنْ وقوعِهِ في المعصيةِ الَّتي تُفْضي بِهِ إلى دُخُولِ النَّارِ»[٣].

١٩- عدمُ اقتتالِ المسلمين فيما بينَهمْ في الفتنةِ وغيرِها :[٤]

عَنِ الصُّنَابِحِ الأَحْمَسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَلَا إِنِّي

---

(١) «شرح مسلم» (٥/ ٤٧٦).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٢٥).

(٣) المرجع السابق (١٣/ ٢٥).

(٤) قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السُّنَّة» (٤/ ٥٢٩): «وكان أفاضلُ المُسلمين يَنْهَوْنَ عَنِ الخُروجِ والقتالِ في الفِتْنة، كما كان عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وسعيدُ بن المُسَيِّب، وعليُّ بْنُ الحُسَيْنِ، وغَيْرُهُمْ - يَنْهَوْنَ عامَ الحَرَّةِ عَنِ الخُروجِ في فِتْنةِ ابْنِ الأَشْعَث؛ ولهذا استقرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ على تَرْكِ القِتَالِ في الفِتْنةِ للأحاديثِ الصَّحيحةِ الثَّابتةِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، وصاروا يذكرون ذلك في عَقَائدِهِمْ ويأمُرُونَ بالصَّبْرِ على جَوْرِ الأئمَّةِ، وتَرْكِ قِتالِهِمْ، وإنْ كان قَدْ قاتَلَ في الفِتْنةِ خَلْقٌ كثيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والدِّينِ».

فَرَطُكُمْ[(١)] على الحَوْضِ، وإِنِّي مُكاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ؛ فلا تُقَتِّلُنَّ بَعْدي»[(٢)].

وعَنْ عُدَيسَةَ بنت أُهْبانَ قالت: «لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ هَاهُنَا الْبَصْرَةَ دَخَلَ عَلَى أَبِى فَقَالَ يَا أَبَا مُسْلِمٍ أَلاَ تُعِينُنِى عَلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ قَالَ بَلَى. قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ فَقَالَ يَا جَارِيَةُ أَخْرِجِى سَيْفِى. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ. فَقَالَ إِنَّ خَلِيلِى وَابْنَ عَمِّكَ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ. قَالَ لاَ حَاجَةَ لِى فِيكَ وَلاَ فِى سَيْفِكَ»[(٣)].

وعَنْ أبي بُرْدَةَ قال: دخلتُ على محمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فقال: إنَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلاَفٌ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأْتِ سَيْفَكَ أُحُدًا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ اجْلِسْ فِى بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»[(٤)].

٢٠- التَّعوُّذُ باللهِ مِنَ الفِتَنِ:

عَنْ عائشةَ رضي الله عنها: أنَ النبيِّ ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ[(٥)]، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) الفَرَط - بفتحتين -: هُوَ المُتقدِّمُ والسَّابق.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمدُ (٤/ ٣٤٩)، وابْنُ ماجَهْ (٣٩٤٤)، وهو في «صحيح ابْنِ ماجَهْ» (٣١٨٧).

(٣) (حسن صحيح) أخرجه ابنُ ماجه (٣٩٦٠)، وهو في «الصحيحة» (١٣٨٠).

(٤) (صحيح) أخرجه ابْنُ ماجَهْ (٣٩٦٢)، وهو في «صحيح ابْنِ ماجَهْ» (٣٢٠١).

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٧٧): قال «الكِرْمانيُّ»: صَرَّحَ في فِتْنَةِ الغنَى بذِكْرِ الشَّرِّ إشارةً إلى أنَّ مَضَرَّتَهُ أكثرُ مِنْ مَضَرَّةِ غَيْرِه، أو تغليظًا على أصحابه؛ حتَّى لا يغتَرُّوا فيَغْفُلوا عَنْ مَفَاسِده، أو إيماءً إلى أنَّ، صُورتَهُ لا يكونُ فيها خيرٌ، بخلافِ صُورةِ الفَقْرِ فإنَّها قد تكونُ خيْرًا».

مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ[١] الدَّجَّالِ»[٢].

وعَن أَنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ[٣]»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كُنَّا نَحملُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ[٥]؛ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ». قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ[٦]»[٧].

٢١- اللُّجُوءُ إلى اللهِ:

قال الله -سبحانَه وتعالى- حاكيًا عَن يُوسُفَ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

ولَمَّا لاقَى المؤمنون من أصحابِ طالوتَ عليه السلام أعداءَهُمْ مِنْ جالوتَ وجنودِهِ

---

(١) سُمِّي الدَّجَّالُ مَسِيحًا؛ لأَنَّ عينَهُ ممسوحةٌ عَنْ أَنْ يُبْصِرَ بها.

(٢) رواه البُخاريُّ (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩/ ١٢٩).

(٣) قال الحافظُ في «الفتح» (٢/ ٣١٩): «قال ابنُ دقيق العيد: فتْنةُ المَحْيا: ما يَعْرِضُ للإنسان مُدَّةَ حياتِه مِنْ الافْتتانِ بالدُّنْيا والشَّهَواتِ والجهالاتِ، وأَعْظمُها -والعياذُ باللهِ- أَمْرُ الخاتمة عِنْدَ المَوْت».

(٤) أخرجه البخاريُّ (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٥) وَيْح: كلمةُ ترحُّم وتوجُّع، تُقالُ لِمَنْ تَنْزِلُ به بَلِيَّةٌ، إنْ أُضِيفَتْ وَجَبَ نَصْبُها بإضمارِ فِعْلٍ، والتَّقدير: أَلْزَمَهُ الله وَيْحًا وَنَحْو ذلك، وإن لم تُضَفْ جاز النَّصْبُ على المَصْدرِ، والرَّفْعُ على الابتداء.

(٦) قال الحافظُ في «الفتح» (١/ ٥٤٣): «فيه دليلٌ على استحباب الاستعاذة مِنَ الفتَنِ، ولَوْ عَلِمَ المَرْءُ أَنَّهُ مُتمسِّكٌ فيها بالحقِّ؛ لأَنَّها قدْ تُفْضِي إلى وُقُوعِ مَنْ لا يَرَى وقوعَهُ».

(٧) رواه البخاريُّ (٤٤٧).

- لجئوا إلى الله - تعالى - بالدُّعاء، قال- سبحانه -: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وذكر الله - سبحانَهُ وتعالى - عَن إبراهيمَ وقومه المؤمنين أنهم دَعَوُا الله - سبحانه وتعالى - قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

وقال - سبحانَهُ وتعالى - في شأنِ موسَى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾ [يونس: ٨٤- ٨٦].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عُمَرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**». فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. الحديث[1].

٢٢- سؤالُ اللهِ الهدايةَ:

قال اللهُ - سُبحانَهُ وتعالى - مُمْتنًّا على أهْلِ الإيمانِ بهدايتهم إلى سُلُوكِ سبيلِ الحقِّ عِنْدَ وُقُوعِ الخلافِ في الأُمَمِ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأحمدُ (١/ ٣٠).

أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾[البقرة:٢١٣][١].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ [٢] فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»[٣].

وكان النَّبيُّ ﷺ يَضْرَعُ إلى ربِّه أَنْ يَهْدِيَهُ لما اخْتُلِفَ فيه منَ الحقِّ.

فعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان إذا قام مِنَ اللَّيلِ يُصلِّي يقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٢٩٤): «اختلفوا في يوم الجمعة، فاتَّخذ اليَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ، والنَّصارى يَوْمَ الأَحَد، فَهَدَى اللهُ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ ليوم الجُمُعة، واختلفوا في القِبْلَة، فاستقبلت النَّصارى المَشْرِقَ، واليَهُودُ بَيْتَ المَقْدِس، فهدي اللهُ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ للقِبْلَة، واختلفوا في الصَّلاة، فمنهم مَنْ يَرْكَعُ ولا يَسْجُدُ، ومنهم مَنْ يَسْجُدُ ولا يَرْكَعُ، ومنهم مَنْ يُصَلِّي وهو يتكلَّم، فهدي الله أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ للحقِّ مِنْ ذلك، واختلفوا في الصِّيام، فمنهم مَنْ يصوم بَعْضَ النَّهار، ومنهم مَنْ يَصوم عَنْ بَعْضِ الطَّعام، فَهَدَي اللهُ أُمَّةَ محمَّدٍ للحقِّ مِنْ ذلك، واختلفوا في إبراهيمَ عليه السلام، فقالت اليَهُودُ: كان يَهُوديًّا، وقالت النَّصارى: كان نَصْرانيًّا، وجعله اللهُ حَنيفًا مُسْلِمًا، فهدي اللهُ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ للحقِّ مِنْ ذلك، واختلفوا في عيسى عليه السلام فكذَّبَتْ به اليَهُودُ، وقالوا لأُمِّه بُهْتانًا عظيمًا، وجعلتْهُ النَّصارى إلهًا وولدًا، وجعله اللهُ رُوحَهُ وكَلِمَتَهُ، فهدى اللهُ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ للحقِّ مِنْ ذلك» أ.هـ.

(٢) بالسَّنَة: أَيْ: بالقَحْط، قال النَّوويُّ رحمه الله في «شرحه على صحيح مسلم»(٥/ ٧٣٩) لبعض الرِّوايات، وهي: «بسَنَة عامَّة» عند مُسلم (٢٨٨٩): «أَيْ: لا أُهْلكهم بقَحْط يَعُمُّهُمْ، بَلْ إِنْ وقع قَحْطٌ فيكونُ في ناحيةٍ يسيرةٍ بالنِّسْبة إلى باقي بلادِ الإسلام، فللَّه الحَمْدُ والشُّكْرُ على جميع نِعَمِه».

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٠).

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

٢٣- الثَّباتُ على الحقِّ:

الثَّباتُ على الحقِّ هُوَ: عَدَمُ احتمالِ الزَّوالِ بتشكيك المُشَكِّكِ(٢)، فهو دليلٌ على قُوَّةِ الإيمانِ، وحُسْنِ التَّوكلِ على الله.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

[الإسراء:٧٤-٧٥].

فأخبر اللهُ بامتنانه على عَبْده ورسوله ﷺ بتثبيته على الحقِّ، وعَدَم الإجابة لداعي الباطل، لذا كان ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»(٣).

وحَذَّر خَبيرُ الفتَن حُذَيفةُ بْنُ اليَمانِ رضي الله عنه العُلَماءَ العُبَّادَ مِنْ تَرْكِ الثَّبات والميل مَعَ الرِّيح، فقال: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالاً، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا»(٤).

٢٤- الحَذَرُ مِنَ الذُّنُوبِ:

الفِتَنُ في الأَهْل، والمالِ، وفي كُلِّ شَيْءٍ سَبَبُها الذُّنُوبُ؛ قال اللهُ - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

[الشورى:٣٠].

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).

(٢) «كشف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (١/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٣/ ١١٢)، والتِّرمذيُّ (٣٥٢٢) عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٨٠١).

(٤) رواه البخاريُّ (٧٢٨٣).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والَّذي شاهدناه نَحْنُ وغَيْرُنا، وعرفناه بالتَّجارب: أنَّه ما ظَهرتِ المعازفُ وآلاتُ اللَّهْوِ في قَوْم، وفَشَتْ فيهم، واشتغلوا بها إلَّا سَلَّطَ اللهُ عليهم العَدُوَّ، وبُلُوا بالقَحْطِ والجَدْبِ ووُلَاةِ السَّوْءِ»[1].

٢٥- شُكْرُ النِّعَمِ[2]:

بالشُّكْرِ تُحْفَظُ النِّعَمُ، بَلْ تَزْدَادُ؛ قال اللهُ - سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

وأخبر -سبحانه وتعالى- أنَّه لا غَرَضَ له في عذاب خَلْقه، إنْ شكروا وآمنوا، فقال: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء:١٤٧].

٢٦- مَعْرِفَةُ سَبَبِ عَداوةِ الأَعْداءِ:

المُؤْمِنُ على يقينٍ مِنْ أَنَّ سَبَبَ عداوة أعدائه لَهُ هُوَ هذا الدِّينُ الصَّافي؛ قال اللهُ - سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧].

هذا هو حُكْمُ اللهِ، فلا يذهبْ بك وَهْمُكَ إلى أنَّ حَرْبَهُمْ لنا لمجرَّدِ دوافعَ اقتصاديةٍ، أو أهدافٍ توسعيَّةٍ، وهو أمرٌ يفرحُ به العَدُوُّ، ولَنْ تُرْضِيَهُمُ التَّنازلاتُ،

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٠).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١١/ ٣١١): «وَالْحَاصِل: أَنَّ الشُّكْرَ يَتَضَمَّنُ الصَّبْرَ عَلَى الطَّاعَة، وَالصَّبْرَ عَنِ الْمَعْصِيَة، قَالَ بَعْضُ الأَئِمَّة: الصَّبْرُ يَسْتَلْزِمُ الشُّكْرَ، لَا يَتِمُّ إِلَّا بِه، وَبِالْعَكْس فَمَتَى ذَهَبَ أَحَدُهُمَا ذَهَبَ الآخَرُ، فَمَنْ كَانَ فِي نِعْمَة، فَفَرْضُهُ الشُّكْر وَالصَّبْرُ (أَيْ: واجبٌ عليه الشُّكْرُ والصَّبْرُ) أَمَّا الشُّكْر فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا الصَّبْرُ فَعَنِ الْمَعْصِيَة، وَمَنْ كَانَ فِي بَلِيَّة فَفَرْضه الصَّبْر وَالشُّكْر، وأَمَّا الصَّبْر فَوَاضِح وَأَمَّا الشُّكْر فَالْقِيَام بِحَقِّ اللَّه عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْبَلِيَّة، فَإِنَّ لِلَّه عَلَى الْعَبْد عُبُودِيَّةً فِي الْبَلَاءِ، كَمَا لَهُ عَلَيْهِ عُبُودِيَّةٌ فِي النَّعْمَاءِ».

مهما كَثُرَتْ وعَظُمَتْ، إلَّا أنْ يرتدَّ المسلمون عَنْ دِينِهِمْ.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

٢٧- التَّأَنِّي وعَدَمُ العَجَلَةِ:

عَن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لأَشجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «**إنَّ فيك خصلتين يُحِبُّهما الله: الحِلْمُ**[١]، **والأَنَاةُ**»[٢].

وعَن خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟. فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ، لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[٣].

وعَن أَنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، والعَجَلَةُ**[٤] **مِنَ الشَّيْطانِ**»[٥].

---

(١) **الحِلْمُ**: تَرْكُ العَجَلَةِ، وهو خِلَافُ الطَّيْشِ، ونَقِيضُ السَّفَهِ، قال الرَّاغِبُ: «هُوَ ضَبْطُ النَّفْسِ والطَّبْعِ عِنْدَ هيجَانِ الغَضَبِ». «المفردات» (صـ١٢٩).

(٢) رواه مسلم (١٧)، والتِّرمذيُّ (٢٠١١)، وأحمدُ (٤/ ٢٠٦). وأبو داوُدَ (٥٢٢٥).

(٣) رواه البخاريُّ (١٢/ ٣١٥، ٣١٦/ الفتح).

(٤) **والعجلة**: فِعْلُ الشَّيْءِ قَبْلَ وَقْتِهِ اللَّائِقِ به، وكانتِ العَرَبُ تَكْنِي العَجَلَةَ أُمَّ النَّداماتِ. «روضة العقلاء» (صـ٢٨٨).

(٥) (حسن) أخرجه أبو يعلي في «مسنده» (٣/ ١٠٥٤)، والبَيْهقيُّ في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠٤)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٧٩٥).

وأَمْرُ التَّأَنِّي لَعَظِيمٌ، وخاصَّةً في زَمانِ الفِتَنِ، كما قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إنَّها ستكونُ هَنَاتٌ[١] وأُمُورٌ مُشبِّهاتٌ، فَعليكَ بالتُّؤَدَةِ[٢]، فَلأَنْ تكونَ تابعًا في الخيرِ خيرٌ مِنْ أَنْ تكُونَ رَأْسًا في الشَّرِّ»[٣].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إيَّاكُمْ والفِتَنَ، لا يَشْخَصْ إليها أَحَدٌ؛ فواللهِ، ما شَخَصَ فيها أَحَدٌ إلَّا نَسَفَتْهُ، كما يَنسِفُ السَّيْلُ الدِّمنَ[٤]، إنَّها مُشَبِّهَةٌ مُقبلَةً، حتَّى يقولَ الجاهلُ: هذهِ تُشَبَّهُ؛ وتُبَيَّنُ مُدْبِرَةً؛ فإذا رأيتُموها فاجْثُمُوا في بُيُوتِكُمْ، وكسِّرُوا

(١) **الهَنَاتُ**: جَمْعُ هَنَةٍ، تأنيثُ هَنٍ، وهو كنايةُ عن كُلِّ اسمِ جِنْسٍ، والمُرادُ: شُرُورٌ وفسادٌ، وشدائدُ وأُمورٌ عِظامٌ. انظر «النِّهاية»(٥/ ٢٧٩).

(٢) قال ابنُ القَيِّم رحمه الله كما في «مفتاح دار السعادة» (١٦٩-١٧٠) فيمَنْ لم يتأنَّ في أُمُورِه، فَتَطِيشُ به البَداءاتُ وعَوارِضُ الشُّبُهاتِ: «هذا دليلُ ضَعْفِ عَقْلِه ومَعْرِفَتِه؛ إذْ تُؤَثِّرُ فيه البُداءاتُ، ويُسْتفزُّ بأوائلِ الأُمُور، بخلافِ الثابتِ التَّامِّ العاقلِ، فإنَّهُ لا تَستفِزُّهُ البُداءاتُ، ولا تُزْعِجُهُ وتُقْلِقُهُ، فإنَّ الباطِلَ لَهُ دهشةٌ ورَوْعَةٌ في أَوَّلِه، فإذا ثَبَتَ القَلْبُ، رُدَّ على عَقِبَيْه، واللهُ يُحِبُّ مَنْ عِنْدَهُ العِلْمُ والأَناةُ، فلا يَعْجَلُ، بَلْ يَثْبُتُ حَتَّى يَعْلَمَ، ويستيقِنُ ما ورد عليه، ولا يَعْجَلُ بأمْرٍ مِنْ قَبْلِ استحكامِه، فالعَجَلَةُ والطَّيْشُ مِنَ الشَّيطانِ، فَمَنْ ثَبَتَ عِنْدَ صَدْمَةِ البُداءاتِ؛ استقبلَ أَمْرَهُ بعلْمٍ وحَزْمٍ، ومَنْ لم يَثْبُتْ لها؛ استقبله بعَجَلَةٍ وطَيْشٍ، وعاقبتُهُ النَّدامةُ وعاقبةُ الأَوَّلِ حَمْدُ أَمْرِه، ولكنْ للأَوَّلِ آفَةٌ، مَتَى قُرِنَتْ بالحَزْمِ والعَزْمِ، نجا منها، وهي: الفَوْتُ، فإنَّه لا يُخافُ مِنَ التَّثَبُّتِ إلَّا الفَوْتُ، فإذا اقترن به العَزْمُ والحَزْمُ، تَمَّ أَمْرُهُ، ولهذا في الدُّعاءِ الذي رواه الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ: **«اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ، والعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»**.

وهاتانِ الكلمتانِ هُما جِمَاعُ الفَلاحِ، وما أُتِيَ العَبْدُ إلَّا مِنْ تضييعِهما، أو تَضْييعِ أَحَدِهما، فما أُتِيَ أَحَدٌ إلَّا مِنْ بابِ العَجَلَةِ والطَّيْشِ، واستفزازِ البُداءاتِ لَهُ، أَوْ مِنْ بابِ التَّهاوُنِ والتَّماوُتِ، وتضييعِ الفُرْصَةِ بَعْدَ مُواتاتِها، فإذا حَصَلَ الثَّباتُ أَوَّلًا، والعَزِيمةُ ثانيًا، أفلحَ كُلَّ الفلاحِ، واللهُ وَلِيُّ التَّوفيقِ.

(٣) «المصنف» لابن أبي شَيْبَةَ (١٥/ ٣٤).

(٤) **الدِّمن** - بالكسر-: البَعَر.

سُيُوفَكُمْ، وقَطِّعُوا أوتارَكُمْ»(١).

وعنه رضي الله عنه: أنَّه ذكر فِتْنةً؛ فقال: «تُشَبِّهُ مُقْبلَةً، وتُبَيِّنُ مُدْبرةً(٢)» (٣).

٢٨- التَّبَيُّنُ:

التَّبَيُّنُ في الأُمُورِ عِنْدَ حُلُولِ الفِتَنِ وغَيْرِها مَطْلَبُ كُلِّ مُسْلم، حتَّى يُفْضيَ بالسَّامعِ إلى حقيقةِ الأَمْرِ المُرادِ معرفتُهُ، وَهَتْكُ حِجَابِهِ، فيحصل العِلْمُ بَعْدَ الالتباس.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات:٦].

قال ابنُ كثير رحمه الله: «يأْمُرُ - تعالى - بالتَّثَبُّتِ في خَبَرِ الفاسقِ ليحتاطَ له؛ لئَلَّا يحكمَ بقولِهِ، فيكونَ في نَفْسِ الأَمْرِ كاذبًا أو مُخطئًا، فيكونَ الحاكم بقولِهِ قد اقتفى وَرَاءَهُ، وقد نهى اللهُ عَنِ إتِّباعِ سبيلِ المُفْسدين»(٤).

وقال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

قال ابنُ كثير رحمه الله: وقولُهُ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إنكارٌ على مَنْ يُبادِرُ إلى الأُمُورِ قَبْلَ تَحَقُّقِها، فيخبُر بها ويُفْشيها ويَنْشُرُها، وَقَدْ لا

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٣).

(٢) قال شَمِرٌ: «معناهُ: أنَّ الفِتْنةَ إذا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ على القَوْم، وأَرَتْهُمْ أَنَّهمْ على الحقِّ، حتَّى يدخلوا فيها، ويركبُوا منها ما لا يَحلُّ؛ فإذا أَدْبَرَتْ وانْقَضَتْ بَانَ أَمْرُها، فَعَلِمَ مَنْ دخل فيها أَنَّهُ كان على خطأ» «لسان العرب» (١٣/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٣) «المُصَنَّف» لابن أبي شَيْبَةَ، (١٥/ ٢٠).

(٤) «تفسير ابْنِ كثيرٍ» (٧/ ٣٢٦٥).

يكونُ لها صِحَّةٌ»(١).

وَقَدْ حذَّر النَّبيُّ ﷺ مِنَ العَجَلَة وعَدَم التَّثَبُّت، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ**»(٢).

وعَنْ حُذَيْفةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا**»(٣).

٢٩- تَغْييرُ المُنْكَرِ:

مِنَ المَعْلُوم أَنَّ الفِتْنَةَ والعَذَابَ لا تُصِيبُ الظَّالمين فَقَطْ، بَلْ تَعُمُّ الظَّالمين وغَيْرَهُمْ.

قال الله - سبحانَه وتعالى-: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].

قال ابنُ سَعْدي رحمه الله عقبَ هذه الآية: «بَلْ تُصِيبُ فاعِلَ الظُّلْم وَغَيْرَهُ، وذلك إذا ظهر الظُّلْمُ، فلم يُغَيَّرْ، فإنَّ عُقُوبتَهُ تَعُمُّ الفاعِلَ وغَيْرَهُ، وتَقْوَى هذِهِ الفِتْنة بالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ(٤)، وَقَمْعِ أَهْلِ الشَّرِّ والفَسَادِ، وأَلَّا يُمَكَّنوا مِنَ المعاصي والظُّلْمِ مَهْما أَمْكَنَ»(٥).

لذا كانَ تغييرُ المنكر مخرجًا مِنَ الفتَن، ويُؤَيِّدُ ذلك حديثُ النُّعمان بْن بَشير رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ القَائِم عَلَى حُدُود الله وَالْوَاقع فيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا**(٦) **عَلَى سَفينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا،**

---

(١) «تفسير ابْن كثير» (٢/ ٩٧٤).

(٢) رواه مسلم في «مقدِّمة صحيحه» (١/ رقم ١٠).

(٣) رواه أبو داوُدَ (٤٩٧٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٨٦٦).

(٤) وتَقْوَى هذه الفتْنة بالنَّهْي عَن المُنْكَر: أَيْ: أَنَّ اتِّقاءَ هذهِ الفتْنة يكونُ بالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ.

(٥) «تفسير ابْن سَعْديٍّ» (٣١٨).

(٦) **الاستهمام**: الاقتراع.

وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

٣٠- السَّكينةُ:

السَكينةُ كما عرَفها ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي: الطُّمأنينةُ والوَقَارُ والسُّكُونُ الَّذي يُنْزِلُهُ اللهُ في قَلْبِ عَبْدِهِ عِنْدَ اضطرابِهِ مِنْ شِدَّةِ المخاوفِ، فلا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذلِكَ لِما يَرِدُ عليه، ويُوجِبُ له زِيادةَ الإيمانِ وقُوَّةَ اليَقِينِ والثَّباتِ»(٢).

وحاجةُ المَرْءِ إلى السَّكينةِ والتَّحلِّي بها عِنْدَ الفِتَنِ لشديدٌ؛ لأنَّها تُوجِبُ السُّكُونَ عمَّا لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ، وتَمْنعُ مِنَ الشَّطَطِ الفَاحِشِ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّكينةُ إذا نزلتْ على القَلْبِ اطْمَأنَّ بها، وسكنتْ إليها الجوارحُ، وخشعتْ واكتسبتِ الوَقَارَ، وأنطقتِ اللِّسانَ بالصَّوابِ والحِكْمةِ، وحالتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْلِ الخَنَا والفُحْشِ، واللَّغْوِ الهُجْرِ، وكُلِّ باطِلٍ»(٣).

والنَّبيُّ ﷺ حَثَّ على لزُوُمِ السَّكينةِ في العبادةِ، وعِنْدَ الفِتَنِ، وفي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِ المُسْلِمِ لئلَّا تَضْطَرِبَ القُلُوبُ، وتطيشَ سهامُها، فلا تَعي الأُمُورَ على حَقِيقَتِها.

فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»(٤).

وأَمَرَنا -أَيْضًا- أَلَّا نَقُومَ قَبْلَ دُخُولِ الإمامِ؛ لئلَّا يكونَ سببًا في إسراعِهِ.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٤٩٣).

(٢) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٥٢٥).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٢٧).

(٤) رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢).

فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوموا حتَّى تروني، وعليكم السَّكينة»[١].

قال الحافظ رحمه الله: «موضعُ الحاجةِ هنا قولُهُ: «**وعليكمُ السَّكينةَ**» قال ابنُ رشيدٍ: والنُّكتَةُ في النَّهْيِ عَنْ ذَلك؛ لئلَّا يكونَ مقامُهُمْ سَبَبًا لإسراعِهِ في الدُّخولِ إلى الصَّلاة، فيُنافي مقصودَهُ مِنْ هَيْئَةِ الوَقَار»[٢].

وقال عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وغَدَاةَ جَمْعٍ[٣] للنَّاسِ حِينَ دَفَعُوا: «**عليكُمْ بالسَّكِينةِ**»[٤] فالسَّكينةُ عِنْدَ الفِتَنِ سِمَةُ العُلَماءِ، وصفَةُ الأولياءِ، وعلامةُ اليقين، وهكذا العُلَماءُ إذا هاجتِ الفِتَنُ لَزِمُوا السَّكِينةَ، فهذا شيخُ الإسلامِ يُخْبِرُ عَنْهُ تِلْميذُهُ ابْنُ القيِّم - رحمهما الله -: «كان إذا اشتدَّتْ عليه الأمورُ، قرأ آياتِ السَّكينةِ[٥]، وسَمِعْتُهُ يَقُولُ في واقعةٍ عظيمةٍ جَرَتْ لَهُ في مَرَضِه: لمَّا اشتدَّ عليَّ الأمْرُ، قلتُ لأقاربي ومَنْ حَوْلي: اقرءُوا آياتِ السَّكِينةِ، قال: ثُمَّ أَقْلَعَ عنِّي ذَلِكَ الحالُ، وَجَلَسْتُ وما بي قَلَبَةٌ[٦]»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٠٩).

(٢) «الفتح» (٣/ ٥٠).

(٣) **جَمع - بالفتح -**: المُزْدَلِفَةَ.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٨٢).

(٥) الآيات الواردة في «السَّكينة» هي: آية من «سورة البقرة»(٢٤٨)، وفي «سورة التوبة» الآية (٢٥) إلى (٢٦)، والآية (٤٠)، وفي «سورة الفتح» الآية(٤)، والآية(١٨)، والآية(٢٦).

(٦) **وما بي قَلَبَةٌ - بفتحتين-**: أيْ: داءٌ وتَعَبٌ.

(٧) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٥٢٥) باختصار، وقد نقل الفيروز آبادي هذه الواقعةَ في «بصائر ذوي التَّمييز» (٣/ ٢٣٨)، ولم يذكر اسْمَ الشَّيْخ، وأضاف إلى هذه الواقعةِ قَوْلَهُ: «وَقَدْ جَرَّبَتْها الأكابرُ عِنْدَ اضْطِرابِ القَلْبِ ممَّا يَرِدُ عليه، فَرَأَوْا لها تأثيرًا عَظِيمًا».

٣١- أبيات يستحب التمثل بها عند الفتن:

قال خلف بن حوشب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يتمثَّلُوا بهذِهِ الأبياتِ عِنْدَ الفِتَنِ، قال: امْرُؤُ القَيْسِ[١]:

الحــربُ أولَ مَــا تكـونُ فَتِيَّــةً[٢] … تسعـى بزينتهــا لكُــلِّ جَهُــولِ
حَتَّى إذَا اشْتَعَلَت وشب ضِرَامُهَا[٣] … وَلَّـت عَجُـوزًا غَـيْرَ ذَاتِ حَلِيـلِ[٤]
شَـمْطَاءَ[٥] يُنْكَـرُ لَونُهَـا وتَغَـيَّرتْ … مَكْرُوهَـةً[٦] لِلْشَّـمِّ والتَّقْبِيـلِ[٧] [٨]

---

(١) قال الحافظ في (الفتح) (١٣/ ٤٩): «وَالْمَحْفُوظ أَنَّ الأَبْيَات الْمَذْكُورَة لِعَمْرو بْن مَعْد يكَرِب الزُّبَيْدِيّ كَمَا جَزَمَ به أَبُو الْعَبَّاس الْمُبَرِّد فِي الْكَامِل، وَكَذَا رَوَيْنَاهُ فِي كِتَاب «الْغُرَر مِنْ الأَخْبَار» لأَبِي بَكْر محمَّد بْن خَلَف الْقَاضِي الْمَعْرُوف بوَكِيع، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْدَان بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن مُحَمَّد النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْن عُيَيْنَةَ عَنْ خَلَف بْن حَوْشَب قَالَ: قَالَ عَمْرو بْن مَعْد يكَرِب، وَبِذَلِك جَزَمَ السُّهَيْلِيُّ فِي «الرَّوْض» وَوَقَعَ لَنَا مَوْصُولًا مِنْ وَجْه آخَر وَفِيهِ زِيَادَةٌ، رَوَيْنَاهُ فِي «فَوَائِد الْمَيْمُون بْن حَمْزَة الْمِصْرِيّ» عَنْ الطَّحَاوِيّ فِيمَا زَادَهُ فِي السُّنَن الَّتِي رَوَاهَا عَنْ الْمُزَنِيّ عَنْ الشَّافِعِيّ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الْمُزَنِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ خَلَف بْن حَوْشَب قَالَ: قَالَ عِيسَى بْن مَرْيَم ﷺ لِلْحَوَارِيِّينَ: كَمَا تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ فَاتْرُكُوا لَهُمْ الدُّنْيَا.

وَكَانَ خَلَف بْنُ حَوْشَبٍ يَقُول: «يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الأَبْيَات فِي الْفِتْنَة» أ.هـ.

(٢) فتيَّة: شابَّة.

(٣) ضرامُها - بالكسر -: اشتعالها.

(٤) الحليلُ: الزوج: والمعنى: صارتْ لا يرغبُ أحدٌ في تزويجها.

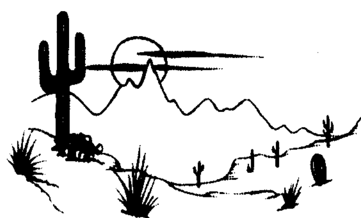
(٥) الشَّمَطُ: بياضُ الرَّأسِ يُخالطُ سَوادَهُ، وبابُهُ فَرِحَ.

(٦) يُنْكَرُ لَوْنُها: أَيْ: يُبَدَّلُ حُسْنُها بقُبْحٍ.

(٧) مكروهةً للشَّمِّ والتَّقْبيل: يصف فَاهاً بالبَخَرِ مُبالغةً في التَّنفير منها.

(٨) رواه البخاريُّ مع الفتح (١٣/ ٤٩/ فتح الباري).

محتويات الكتاب



تم بحمد الله